

المقدس

تاريخ الحضارة

مترجم عن الفرنسية

نتائج الحروب الصليبية = كانت نتيجة الحروب الصليبية قصيرة العمر فلم تستطع مملكة القدس أن تقاوم المسلمين بل انحلت سنة ١٢٩١ وذلك البيزنطيون أساس الامبراطورية اللاتينية التي أسست سنة ١٢٠٤ ولكن القبر المقدس أخذ يجذب اليه كل سنة ألوفا من الحجاج فخصصت لنقلهم سفن تقلع من البندقية وجنوة ومارسيليا وهكذا ابتدأت الصلات المنظمة بين إيطاليا والشرق

ولم تكن توجد أدوات الزينة وحاصلات البلاد الحارة ولبازير الهند (كالفلل وجوز الطيب والزنجبيل والذرفة) والعاج وحرير الصين والاقمشة والبسط والسكر والقطن والورق الا في أسواق الاسكندرية وبغداد والاسكندرية وكانت هذه السلع التي يرغب فيها الغربيون من وراء الغاية ويسذلون في سبيلها كل مرتخص وغال ترجع أرباحا فاحشة فقد بدأ أهل البندقية رعيا الامبراطورية البيزنطية يتجرون مع بزنطية : وأخذ الناس في أوروبا في القرن الثاني عشر يؤثرون أن يذهبوا لاستبضاع متاجر الشرق من مصادرها فتبعت المدن التجارية الكبرى في ذلك العهد كالبنديقية وجنوة ويزا سفنها الى موانئ فلسطين حيث كانت تصل قوافل دمشق وبغداد وكان للبنادقة في القرن الثالث عشر حي خاص في القسطنطينية بعد أخذها ومكانا تجارية حتى البحر الاسود حيث يتجرون وطربزون وسمح أمراء المسلمين في مصر وطرابلس الغرب بالتجارة مع رعياهم وعقدت بالبنديقية وجنوة معاهدات تشبه هذه فأخذت مراكب البندقية وجنوة ترد بصورة منظمة الى الاسكندرية

تقل الايازر والاقمشة وعلى هذا فالصلات بين الغرب والشرق قد بدأت بحرب بين المؤمنين وانتهت بمسائل بين المتجرين وآثر تجار الالمان وكانوا الى القرن الحادى عشر يجلبون بضائع الاستانة بركوب المراكب فى نهر الدانوب أن يجتازوا جبال الالب ويبتاعوها من تجار ايطاليا فتغير طريق التجارة الأعظم وترك طريق الدانوب وأصبح طريقها من الاسكندرية مارا بالبندقية فثنية برنير فاكسبورغ فنورمبرغ

الصلات بين الشرق والغرب — نحضر الغربيون باحتكاكهم مع الشرقيين وانه ليعتذر القول فى تحديد الطريق التى دخل منها الى اوروبا اختراع من اختراعات الشرق فهل انتهت اليها من طريق أهل الصليب (١) فى فلسطين أو من طريق التجار الايتاليين أو العرب فى صقلية أو من المغاربة فى أسبانيا ولكن يمكن تقدير الحساب بما نحن مدينون به للعرب وهذا الحساب يطول شرحه

فقد أنان من العرب (أولاً) الحنطة السوداء والهلين والغنب والسكتان والتوت والزعفران والارز والنخيل والليمون والبرتقال والبن والقطن وقصب السكر التى صبحت أهم زراعات اميركا (ثانياً) معظم صناعاتنا فى القرن مثل الاقمشة الدمشقية القطنية والسرخيان واقمشة الحرير المزركشة بالقضة أو الذهب والشاش الموصلى والتفوف (البرنجك) والصندل والحبر والمخمل الذى زيد اتقانه فى ايطاليا بعد حين والزجاج والمرايا التى قدوها فى البندقية والورق والسكر وعمل الحلويات والمشروبات (ثالثاً) مبادئ كثير من علومنا كالجبر وحساب المثلثات والكيمياء والارقام العربية التى اقتبسها العرب من الهند فسهل بها الحساب مهما كان صعباً . دع عنك السحر وعمل التعاويذ التى اعتقد فيها الايطاليون الى يوم الناس هذا وحجر الفلاسفة الذى كان بعض امراء الالمان يذلون من ملهم للبحث عنه حتى القرن السابع عشر وذلك بواسطة صناع الذهب أو الكيماويين

ولقد جمعت العرب وقربت جميع الاختراعات والمعارف الماثورة عن العالم القديم فى الشرق (كيونان وفارس والهند بل والصين) وهم الذين نقلوها الى اوقد (١) ربما بولغ فى تقدير حفظ الصليبيين من هذه الحضارة وذلك لان أهل الصليب فى فلسطين لم تكن لهم صلات الامع محاربين من المسلمين جاؤا الى عالم الاسلام حديثا وهم بركة متوحشون

دخلت كثير من الالفاظ العربية في لغاتنا (١) وهي تشهد بما قلناه عنهم . و بواسطة العرب دخل العالم الغربى الذى اصبح بربريا في غمار المدنية فاذا كان لافكارنا وصناعاتنا ارتباط بالقديم فان جماع الاختراعات التي نجعل الحياة سهلة لطيفة قد جاءتنا من العرب

تأثير الحروب الصليبية في المعتقدات — اثر الاحتكاك بالشرق في الافكار الدينية بين المسيحيين ايضا فقد تحمسوا اولاً للنزال والطعان ولما شاهدوا المسلمين عن أعم وأوا بينهم رجالاً أشداء متورين كرماء أمثال صلاح الدين الذى أدخل سبيل أسرى المسيحيين بدون قذية وبعت بطيبه الى أحد زعماء الصليبيين وقد مرض ليدأويه فبدأ المسيحيون يحترمون المسلمين واذا أراد الصليبيون أن يثبتوا فضائل الديانة المسيحية للمسلمين واليهود تناقشوا بينهم فاضطرتهم المناقشة أن يقابلوا بين الاديان الثلاثة ومن هذه المقابلة استنتج بعضهم ان الاديان الثلاثة باطلة اذ ان كل واحد منها يدعى بأنها حقيقية وما عداها باطل فقالوا انه جاء ثلاثة دجالين عظام (كذا) موسى وبسوع المسيح ومحمد (صلوات الله عليهم) فخدعوا اليهود والنصارى والمسلمين وهذه الحجة نسبت خطأ الى الامبراطور فريديريك الثانى وسرت في ايطاليا في القرن الثالث عشر . واستنتج آخرون العكس فقالوا ان الاديان الثلاثة حسنة كلها وقصوا هذا المثل : كان رجل خاتم له ارتباط بارتهم وكان يحب أولاده الثلاثة بدرجة واحد فصنع خاتمين اثنين يشبهان خاتمهم ودفع الى كل واحد منهم خاتماً ثم مات الاب فأنشأ كل من الاولاد الثلاثة يطالب بالأرت الذى له علاقة بالخاتم ففضى الفاضى بان يرت الأرت ثلاثتهم فالنصارى والمسلمون واليهود كلهم ثلاثة أبناء لاب واحد سماوى أراد أن يكون لكل منهم حظ من ارثه . وقد جعل المسيحيون في آخر هذه القصة اختلافاً فقالوا انهم أتوا بمرضى وأمسكوه الخوادم الثلاثة فشفى عند ما مس الخاتم الحقيقى والمعجزة تحك الدين الحق . والمعجزات قالت ان النصرانية أفضل

فرنسا في القرن الثالث عشر

الملكية الفرنسية في القرون الوسطى

ارتقاء الملكية على عهد السكابين — لم يكن ملك فرنسا سيدا الا في مملكته جاء

(١) مثل الالكحول والا كسير والجبر والانيق والمخدع والصفة والتميمة وفروح وكوخ ودار الصناعة وأميرال وسمت الرأس والرقم وصفر وغيرها

القرن الثاني عشر وأملا كه لا يعتمد بها فكانت سياسة البيت الملوكى فى فرنسا سياسة أسرة من الفلاحين تبحث فى توسيع أملا كه فىقتنى أفراده بالبىع والزواج والفتوح أملا كا يضمونها الى أملا كههم رويدا رويدا فيسطون أبديهم مرة على ولاية وأخرى على كونية صغيرة (سانس وملون) وأحيانا على محلة صغيرة (مثل مونترى وبوجنى) وقد زادت أملاك البيت الملوك على عم د فيليب أغسطس ثلاثة أضعاف ما كانت عليه بأخذ أملاك دوج نورمانديا . فكثرت عديد القرى فى جيش الملك كما كثر المال فى خزائنه والزراعة فى أملا كه أ كثر من كل أمير فى فرنسا وأصبح أقدر سيد فى مملكته وأتاب عنه فى أملا كه المنتشرة فى أقطار فرنسا حكاما أخذوا يضيّقون خناق وكلاء كبار السادات ليجعلوا اسم سيدهم محترما فى كل صقع وناد

باريز على عهد فيليب أغسطس — كانت باريز فى القرن التاسع على عهد حصار النورماندين لا تتجاوز رقعة الجزيرة وفى أواخر القرن الثانى عشر امتدت على ضفتى السين ولكى يجعل فيليب أغسطس الاحياء الجديدة بأمن من هجمات العدو انشا حول المدينة التى وسعها على هذه الصورة سورا غليظا ذا أبراج لا تزال ترى الى اليوم بعض بقاياه وظلت المدينة أبدا فى الوسط وهناك كانت الكنيسة الكاتدرائية (التي أصبحت بعد كنيسة نوردام) ومقر الاسقف وقصر الملك (حيث جمع سان لوى فيها بعد مجلس نوابه وأصبحت دار العدل أودبوان المظلم) وعلى الشاطئ الأيسر من ناحية جبل سانت جنتيف طلبة المدارس ورجال الكهنوت الذين يمتثلون الى المدارس ومن هذه الجهة انتهى السور امام طرف جزيرة نورتل مارا بجبل سانت جنتيف وامتد الى نهر السين قبالة متحف اللوفر . وعلى الشاطئ الأيمن يبدأ السور قبالة المدينة وينهى باللوفر . وكان السكان فى هذه البقعة الضيقة يزدحمون حتى لا يضيعوا فراغا عظيما فكانت الأزقة ضيقة معوجة مظلمة لا بلاط فيها ولا نور . وليس فيها بوليس تفرع كل مساء علامة الانصراف الى البيوت فيعودوا لاهالى الوديعون الى منازلهم ويغلقون أبوابهم وكانت الأزقة عرضة للصوفس والمشردين من كل جنس ومن الخطر الجمل ان يلقى المرء نفسه فى التهلكة باجتيازها .

وما كان لمدينة باريز ادارة عامة بل كانت مبنية على أرض شطر منها فقط ملك الملك وكانت عدة احياء ولا سيما ما بين منها خارج السور من الارباح مبنية فى أملاك الاديار التى كانت بادىء بنيت فى القرى مثل سان جرمان دى برى (بالقرب من

برى أو كلرك الذى كان يمتد الى شاطئ السين) سان مرتان دى شان وسانت جنيف
وليس الملك هو السيد فى هذه الاحياء بل رئيس الديرو له الحق لان يتقاضى كراء
البيوت التى بنيت فى املاكه بل ان ينظر فى محكمته فى قضايا السكان والجرائم المرتكبة
فى حيه اجمع .

وبعد فاما كانت باريز جسما واحدا حتى ان شطرها الذى هو ملك خاص للملك
يكن منظما تنظيما للمدريات كما كانت كثير من المدن الصغرى (مثل أمين
وسواسون وبوفى وغيرها) وليس لباريز سجل مديرية ولا شيخ بلد ولا مرقب بل
كان العملة الذين يعملون عملا وحدا والتجار الذين يتجرون بصنف واحد فى باريز
وفى غيرها من المدن يجتمعون اجتماعات لكل منها نظامه وصندوقه وزعمائه. وكانت
أقوى النقابات فى باريز نقابة تجار الماء أى السواخذة تجهزى المراكب الذين كانوا
يتجرون على السفن فى نهر السين ولهم زعيم سموه أمين التجار (شاهبندر) ويجلس
ادارة مشايخ البلد وماليت أمين التجار ومشايخ البلدان عدوا بمرور الايام تمثلى الطبقة
المدينة فى باريز وسمى البيت الذى كانوا يجتمعون فيه منزل المدينة أو المجلس البادى
وسمى اجتماعهم جماعة المدينة ولا يزال لمدينة باريز الى اليوم شعار من قارب بقلوع
رمزا الى جماعة تجار الماء وأول من سعى فى تحسين عاصمته فيليب أغسطس رأس
ملوك فرنسا فلم يسورها بسور فقط بل رصف بعض أزقة المدينة وطم البواليع الفدرة
التي كانت حول قصره وما بدأت اقامة المصانع الجميلة الا فى القرن الثالث عشر ولم
يبقى فى باريزنا الحديثة من باريز فيليب أغسطس سوى قبة جرس سان جرمان
دى برى وكنيسة سان جوليان لوبوفر الصغرى

سان لوى — كان سان لوى ملكا تام الادوات على نحو ما يطلب فى الفرون
الوسطى مسيحيا خاضعا وقارسا شجاعا وقاضيا شديدا حاز جميع الفضائل التى تبلغها
مدارك أهل عصره من مثل التقوى والشجاعة والعدل يحضر قداسين فى اليوم ويصلى
الغداة ويلبس المسح ويغسل أرجل الفقراء ويعترف ويتناول تكفيرا عن سيئاته
ويأمر بطرد اليهود واحراق الزنادقة ونقب السن المجدفين بحديدة بحجة فتراه فى الحرب
يتقدم صفوف رجاله وما قتل شوهد فارس مثله كما قال جوافيل فهو حكيم القرن
يتأدب مع الله ويشعر بما يحب عليه بان يحكم بين الناس بالعدل وكثيرا ما يذهب
الى غابة فنسين ليجلس تحت سديانة أو فى حديقة المديسة وكل من لهم شأن ياتونه

فيكمونه بدون ان يرعجهم مزعج من الحجاب فيحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون وأقصى امانيه ان يحكم في الجميع حكما عادلا لاهوى للنفس فيه . صلب أحد كبار سادات المملكة انكران دى كوسى ثلاثة من الطلبة لانهم اصطادوا في قصره قبض الملك عليه وجاء به الى قصره فطلب بقية السادات بحسب العادة ان يدفع هذا السيد عن نفسه بالبراز فابى سان لوى ذلك قائلا ان مسائل اغفراء والكنائس والاشخاص الذين تبغى لهم الشفقة لا يجب المرء ان يسترسل فيها على هذه الصورة فيجعل الحكم للغالب فاغتاط السادات وخرجوا من قصره فترك الملك هذا الموضوع ووضع المسألة على بساط الحكم فتهف أحد الاشراف مستهزئا لو كنت ملكا لصابت بارونياتي نسمة الملك وقال له : ماتقول يا جان هل تقول ان الواجب ان أصلب بارونياتي لاني لا ايس الامر كذلك بل اني معاقبهم اذا أساؤا . ولقد كان الشعور بالعدل عظيما في سان لوى بحيث رفعه الى مستوى أعلى السادة وحظر البراز في كل بلاده وأصبحت جميع المسائل التي كان يتحاكم فيها الى البراز يحكم فيها بحجج وشهود لان القتال كما قال ليس طريقا الى الحق وبهذا فقد قدس سان لوى المملكة الفرنسية وعود القوم ان يروا ملك فرنسا مصدر العدل كله .

معاهد سان لوى — تقع سان لوى بالقوة والاحترام الذي حازه أكثر مما تقع بالقوانين والانظمة ولقد ظن زمنا طويلا انه سن جملة من القوانين كانوا يسمونها نظمات سان لوى ثم ادركوا ان هذه النظمات الموهومة لم تكن سوى تاليف مجموعتين في الحقوق أخذتا من العادات وكتبتا في أواخر القرن الثالث عشر على يد أناس من أرباب التجارب غير معروفين ولا علاقة لهم بالملك . وظن أيضا ان سان لوى ألف براءة او لوائح حقوق الكنيسة في فرنسا ثم ثبت ان هذه اللوائح المزعومة قد وضعت في القرن الخامس عشر وربما كانت بعد لوائح شارل السابع والامام الصادرة حقيقة عن سان لوى هي أوامر البراز ولوائح لتنظيم حسابات المستخدمين في املاكه .

الحياة العقلية والصناعية

كلية باريز — كان لباريز كما كان لعامة الابريشيات مدرسة ملحقة بالكاتدرائية وكان لكثير من الاديار مدارس خاصة بها (مثل سان جرمان دى برى وسان جرمان

لو كمروا وسانت جنيفيف) وقد كثر عدد الطلبة حتى ضاقت بهم الجزيرة فآخذوا
يزلون الضفة اليسرى من السين وهناك بنى سنق ١١٠٣ و ١١٢٠ كان احد العامة
من الشبان الذين جمعوا الى الجمال طلاقة وينا و اسمع بلارد وهو أكثر أهل
عصره استنارة (و يعرف قليلا من اليونانية والعبرانية) يلقى دروسه فى الفلسفة على
ثلاثة آلاف مستمع وما كانت تسع هذا الجمهور قاعة ولا ردهة فجعل ابلارد يلقبها
بين الكروم فى جبل سانت جنيفيف .

وكان من العادة الجارية ان يعقد أهل الحرفة الواحدة اجتماعات فكلما يجتمع
الخطاطون والحداثون وصانعو الاجواخ وأهل كل حرفة على حدة هكذا ألف الرجال
الذين يعنون بالمدراس اجتماعا خاصا وقد وقع استئصال البابا على هذا
الاجتماع فى القرن الثالث عشر فسمى مدرسة باريزكلية (أى مجموع) المعلمين
والطلبة فى باريز وكان لها رئيس منتخب وخدمتها ومعكمها التى لها الحق وحدها فى
ن تقضى بين الاساتذة والتلامذة وكثيرا ما تختلف كلية باريز مع أمين التجار فيعطيهم
الملك الحق دونه . وقد صلب أمين تجار باريز سنة ١٤٠٣ طالبين قبض عليهما فى
منازعة كالتى كانت تحدث كل يوم فى تلك الطرق الضيقة الغاصة بالمشردين
فاغلقت السكينة صفوفها فكانت هذه الوسيلة ذريعة الى نيل تعويض فاضطر
أمين التجار أن يذهب لانزال المصلوبين باحتفال وأن يدفعهما ويقدم اعذاره
للسكينة لانه خرق امتيازاتها

واقسمت السكينة الى حلقات اقسامها الى ضروب من التعليم فبعد ان أدخل
اليها تعليم الحقوق والطب (ولم يكن هذان العلمان يدرسان فى باريز قبل القرن الثالث
عشر) صار لها أربع مدارس اللاهوت والحقوق والطب والفنون . وكانت مدرسة
الفنون تحتوى على جميع علوم الترفيوم (النحو والبيان والمنطق) والسكوا درفيوم
(الحساب والموسيقى والهندسة والفلك والفلسفة) ويقبض الاساتذة روائب كاتيناولون
أجورا من المستمعين ودرسهم مكتوب على دفتر يأتون فيتلونه على المسامع (١) ويسكن
الطلبة وهم من أعمار مختلفة فى المدينة ولكن منذ قام بعض المحسنين فى القرن الثالث
عشروا أنشأوا دورا لقبول الطلبة الفقراء أخذ كثير من يعيشون داخلين فى هذه المدارس
على طريقة جروافيا على نظام الاديار وكان لكل مدرسة ثلاث درجات فى التعليم

(١) هذه العادة ما زالت الى اليوم فى المانيا فان الدرس يسمى تلاوة

ينتقل الطالب من احداها بعد ان يثبت علمه بفحص وقضية يثبتها أو جدل يناضل فيه ثم يصبح بكلورا أو معلما أو دكتوراً وكان القوم يرغبون في نيل هذه الدرجات الثلاث لأن صاحبها يحق له عملاً في الكنائس والمحاكم أو المدارس على أيس وجه وكانت كلية باريز في القرن الثالث عشر أعظم مدرسة في أوروبا تؤوى زهاء عشرين ألفاً من الطلبة على اختلاف بلادهم. وهي التي رسمت لأوروبا صورة التعليم العالي وحدثت كليتا أكسفورد وكمبريدج الانكليزيان حذوها ولما أراد أمراء الألمان تأسيس مدارس في بلادهم انشأوا كلهم كليات جروا فيها على مثال كليات باريز ومنها انتهت المناظرة في الترتيب وتقسيم المدارس الذي لا يزال على حاله القديم في ألمانيا (١)

الحقوق الرومانية — مافى الأباطليون يضعون الحقوق الرومانية موضع العمل وقد أخذوا في القرن الحادى عشر يدرسونها في إيطاليا درساً أصولياً في كتب يوستينيانوس (٢) فكان الاساتذة والطلبة يجتمعون في بولون وبلغ عددهم عشرة آلاف طالب واشتغلوا قرنين في تفسير كتب القوانين الرومانية والتعليق عليها سطرًا سطرًا وتألف من شروحهم ذيل علق عليه علماء القانون في القرن الثالث عشر شروحا جديدة وكانت الولايات الجنوبية في فرنسا فقط (حتى ولاية أوفرن) تعمل بالقانون الرومانى أما ولايات الشمال فتجربى على العادة ويحكم مجلس النواب في باريز بموجب العادة

بيد انه كان للقوانين الرومانية الترجيح على العادة وذلك لأنها هي التي دونت وهي وحدها تدرس في المدارس فكانت تسمى العقل أو الحق أى خلاف المادة بلا زيادة ولا نقص ويفضى القضاء والمحامون الذين يحملون شهادات الحقوق بضع سنين في دراستها بعضهم في بولون والآخر في اورليان أو مونبليه. وكان القانون الرومانى في عدة مواد يحكم بخلاف العادة فتشبع علماء القانون بهذا الحق وادخلوه بالتدريج حتى

(١) سميت مدرسة القانون في ألمانيا بمدرسة الفلسفة اما في فرنسا فقد قسمها نابوليون الى تفتين الآداب والعلوم (٢) كثيرا ما دار على اللسان ان الحقوق الرومانية قد نسبت بته الى ان جاء أهل بيزا بمخطوط من مجموعة الفتاوى (بندكت) سنة ١١٣٥ ظفروا به في نهب مدينة امالفى والامر الواقعى الوحيد في هذه القضية هو انه كان في بيزا مخطوط من مجموعة الفتاوى معتبرة جدا.

على غير معرفة منهم في العادة وبدا أدماج القانون الروماني في القرن الثالث عشر ودام الى آخر القرن السادس عشر فتعدلت به العادات القديمة كل التعديل ولا سيما وقد أضعف سلطة السادة والمديريات التي سكنت عنها القانون الروماني وقوى سلطة الملك وحكامه لان المشرعين قد طبقوا على الملك كل ما كان يعطيه القانون للامبراطور الروماني من الحقوق كما طبقوا على عماله كل ما كان يعطيه القانون الروماني لولاة الرومان وحكامهم وفي قانون الرومان (ان ما يقضى به الامير يكون قانونا نافذا) فاصبحت هذه الحكمة قاعدة الحكومة في فرنسا ثم في المانيا وكانت أساس السلطة المطلقة .

رحلة الى المدينة المنورة

اللقاء

على نحو مائتين وأربعين كيلو مترا من جنوبي دمشق بين نهر الاردن غربا وزمالة العليا في طريق الحج شرقا ونهر الزرقاء شمالا ووادي الموجب جنوبا اقليم واسع خصيب سهلي جبلي اسمه اللقاء طوله من الشمال الى الجنوب ١٨ ساعة للفارس المجرد وعرضه من الغرب الى الشرق ١٦ ساعة او نحو مئة كيلو متر في مئة كيلو متر وهذا الاقليم الذي يبلغ بمساحته ربع جمهورية سويسرا هو اليوم جملة عمل قضاء السلط ما عدا مسيرة ساعتين من الجنوب داخلية في عمل السكر وقد حدد القدماء اقليم اللقاء بأنه بين الشام ووادي القري وقالوا ان فيه مدنا عظمى كثيرة وان قاعدته عمان وقيل ان السلط هي راموت جلعاد احدى مدن الملجاء ومدن اللاويين المذكورة في الكتاب المقدس وربما اشتق اسمها الحاضر الصلت أو السلط من لفظه لاتينية « سالتوس » ومعناها الجبال المشجرة وكانت فيامضى مدينة أسقفية في العهد المسيحي وقد دك المغول قلعتها ثم أعاد بناءها الظاهر بيرس البندقاري .

وموقع السلط على منحدر جبلين متناولين اشبه بمدينة زحلة في لبنان وكانت منذ ثلاثين سنة خالية من الخدائق والبساتين فتوفرت همه اهلها على استثمار

الاشجار والبقول فجاء اكثرها بما عندهم من العيون التي تروي زروع الوادي اما ما كان وراء المدينة من التلعات والاكمام فقد كان حراجا الى عهد قريب وآثار بعض سديانه وملوله ما برحت ماثلة للعيان ولكن القوم قطعوها واستعاضوا عنها بزراعة الكروم التي بعد عنها وزيتها اجل ما تحمله هذه الشجرة المباركة في سورية وقد يكون العنقود الواحد رطلا شاميا واكثره بلا يزر يصدر من زيبه ما تقدر قيمته كل سنة بنحو خمسة عشر الف ليرة وفي جوار السلط قليل من شجر الزيتون سألنا احد شيوخهم عن السبب الذي دعا الى عدم استكثار القوم من غرسه فقال لاننا ذكرنا بغبائرتنا فقد حملنا سعيد باشا شملين احد متصرفي نابلس ايام كان قضاونا تابعا لنابلس على ان تفرس في هذه الاودية التي تراها مئة الف زيتونة فوقع فيا نفسان في الامر دسيسة من الحكومة تريد بها وضع الضرائب العاشة على املاكنا وتسجيل اراضيها على صورة لانعود معها ملاكها الحقيقيين فصدعنا بالامر في الظاهر وغرسنا الوفا من شجر الزيتون ولكن اتدري كيف تخلصنا منه بعد ؟ كان احدنا ينجي ليل الى غرسه الزيتون فيحركها حتى لا يطلع جذعها وهكذا لم يبق من كل غرسه الساطيون الا ما شاهدته اليوم في جوار القصبه وقليل ما هو قلنا وعجيب تبدل تصورات الناس فرجال الحكومة بالامس كانوا يحملون الناس على زرع الاشجار ويزينون لهم اقتناء الاراضي للزراعة واليوم يطلب الاهلون في هذا القضاء وفي غيره الاراضي الموات ليحيوها ولا يعطون طلبتهم وكذلك الحال في كل مكان نزلناه في طريق يثرب فان الاهلين احسوا بغوائل الارض هكذا رأينا اهل الشراة من عمال الطفيلة ومعان وهكذا سمعنا شكوى اهل السكرك وتبوك ومعدائن صالح اجمع على طلب ذلك الحاضر والبادي والسكن لاجل اقل تنادي في حين ورد في قانون الاراضي ان كل من ينجي ارضا مواتا تبعد عن القرى والدمساكر مقدار ما يسمع الصوت فهي له فاين هذا القانون المسطور من عمل الحكومة اليوم قرأنا سطور المهمة والنشاط في وجوه الساطيين مسلميه ومسيحييه وان كانت القاعدة في سورية كلها ان يكون المسيحيون اكثر نشاطا وتعلما من اخوانهم في

الوطنية . وبلدهم هذا ساعدته الطبيعة فساعدتها آلهة أيضا ودخل في طور العمران ويوشك ان يعد في جملة العظيمة من المدائن والبلدان .

وسكان مدينة السلط اليوم نحو ١٦ الف نسمة يبالغ المسيحيون منهم على اختلاف الطوائف نحو أربعة آلاف ومعظمهم الى اليوم يلبسون زيا كروي أهل حوران وهو كوفية وعقال وعباءة وجزمة حمراء وعادات القوم هنا أشبه بعادات البادية مع انهم حضر . وفي السلط قليل من الصناعة وتجارتها واسعة مع القبائل النازلة في البلقاء والرحالة في تلك الارحاء . وبين عمان على الخط الحجازي والسلط نحو خمسة وعشرين كيلو مترا جعل بعضه من جهة السلط طريقا معيدا ومنى أكمل تسافر العربات والسيارات بين السلط والخط الحديدي في ساعتين وهي الآن أربع ساعات على الدواب واذا تم اتصال السلط بالقدس بطريق مبدية تسير عليها المركبات أيضا تعمّر السلط عمرانها وهي على بعد ٤٠ ميلا الى الشمال الشرقي من بيت المقدس و ٤٠ ميلا الى الجنوب الشرقي من نابلس ونحو ١٨ ميلا شرقي الاردن .

ومن سوء حظ هذا القضاء ان معدن الفوسفات الذي نال امتيازا بتعدينه من جبل السرو في منتصف الطريق بين عمان والسلط المهندس نظيف أفندي الخالدي المقدسي على ان ينشئ فرعاً بالخط الحديدي من السلط الى عمان يتصل بالسكة الحجازية ومرفأ في حيفا — من سوء الحظ ان قد حسبوا نفقاته فوجدوها لا تنفي بها وارداته ولعل الحكومة تتساهل بعض الشيء في شروطها لتقوى عزيمته تلك الشركة على استثمار هذا المعدن من قضاء السلط فيتسنى لها أو لشركة أخرى تعدين سائر المعادن التي حبستها بها القفرة

على نحو ساعة من قصبة السلط منظر من أجمل مناظر سورية وتعني به جبل يوشع الواقع على علو ١٠٩٦ مترا عن سطح البحر وهو مشرف على جزء عظيم من فلسطين فيمتد امامك وادي الاردن كأنه بساط ذولوان كثيرة ومن خلال ذلك نهر الاردن تراه كالخية يتلوه حتى يصل الى البحر الميت أو بحيرة لوط . ومن النبي يوشع تشاهد جبل الزيتون في الشمال الغربي ويقابلك جبل عيبيل وجرزيم

ثم جبل الطور وما يناوحه من الجبال المحيطة بحيرة طبرية ومن بيد جبل الشيخ وبه تنتهي هذه المنطرة من الشمال

ويقول العارفون من الافرنج ان الاعتقاد بالنبي يوشع الذي يذبح له البان ويتقربون اليه هو من التقاليد الاسرائيلية القديمة وان بناء قبره برد الرزءا ثلثة سنة . وليوشع مقام أيضا في جبل نابلس قرب قرية حارث وجبل يوشع في البلقاء أشبه يوشع به سى أي ذروة يوشع في قرية بكوز المطلة على بحر مرمرة وخليج القسطنطينية هذا منظره بحري وذلك منظره بري ومن غريب التقاليد ان البدوي يحلف بالله ولكنه لا يحلف بشعيب ومقام شعيب على ساعتين من السلط أيضا .

كانت عمان قسبة البلقاء فانحطت في أواخر القرن الماضي بما تواتر عليها من الزلازل وغارات البادية حتى جلا عنها بيا سكنها الاصليون فانزلت فيها الحكومة منذ ٣٤ سنة ستمائة أسرة من الجركس من عشائر مختلفة هاجروا الى البلاد العثمانية من ولاية كوبان الروسية وأخذوا يردون غارات البادية واعتمدوا في عراهم على مضائهم وشجاعتهم وبنوا على اقاض مدينة ضخمة قرية لهم وساعدتهم مياه نهر الزرقاء فغرسوا الاشجار وانشأوا الحدائق وآتوا بطريقهم المألوفة لهم في الزراعة يبلادهم وقد هلك منهم اناس كثير من الفتن والامراض حتى توطدت اقدامهم واغتنوا واصبحت الحكومة بعد ان كانت تأخذ من عمان مئة ريال في السنة تتقاضى نحو ثلاثة آلاف ليرة ولا تلبث ان تزيد بزيادة عمران عمان واتساع تجارتها على أيدي الشيعطين من النابلسيين والدمشقيين ومعظم تجارة البلقاء في أيديهم اليوم

تقول انها كانت مدينة عظيمة والدليل ان اقاض دار تمثيلها كبيرة جداتكفي لجلوس ثلاثة آلاف نسمة وفي مسرحها ٥٥ صفا على شكل نصف دائرة وفيها آثار قلعة مهمة ومعظم بيوتها بنيت باحجار المدينة القديمة وكذلك قرية رأس عمان الحديثة الواقعة على قيد غلوة من عمان وسكانها جراكسة أيضا .

لاجرم ان الجركس ادخلوا روحا جديدة الى هذا القضاء من التوفر على الزراعة والنشاط المستمر وان الاهلين تعلموا منهم بعض الشيء الان عمال الحكومة أساؤا

الاستعمال فسلبوا ما كان للاهلين من الاراضي والمزارع العامرة ليعطوها للمهاجرين
الجركس والششن والتر كان كما فعلوا بعين صويلح وعيون الحرف قد كانتا مسجلتين
باسم أصحابهما فاعطتهما الحكومة للمهاجرين وذلك لانه كتب للجرا كسة ان
يتولى مأمورية الطابو في هذا القضاء ثلاثة منهم على الولا فكانوا يساعدون اخوانهم
وابناء جلدتهم على سلب الاراضي منهم وتسجيلها باسم المهاجرين وعلى هذه الصورة
أخذ المهاجرون الناعور ووادي السير والزرقاء والرصيفة وغيرها . صبر الناس على
هذا الجور زمنا حتى صحت عزيمة بعض عشيرة الخرشان والجبور على ان يزرعوا
الموقر والعليا والقميرة وهي على نحو ثلاث ساعات من شرقي معان يسير في اراضيها
الراكب عشر ساعات كما ان بعض السلطين يزرعون اليوم في سهل الكبد في الغور
وهذا السهل جيد التربة جدا لاجترفيه ولا مدر ولو أحبت الحكومة احياء الموات
حقيقة لا وعزت للاهلين ان يحياوا أراضي الموقر والعليا كلها فان فيها زهاء الف بئر
معطلة نحيا بعناية قليلة

واعظم عشاير هذا القضاء بنو صخر وهم يتنقلون بين الغور في الشتاء وأراضي
البلقاء العالية في الربيع وفي الصيف يتوفرون على حصاد الاراضي التي لم في جهات
الزيزاء ومادبا وهما مديريتان تابعتان للسلط كما ان عمان مديرية تابعة لها أيضا .
ونفوس قضاء الساط المحررة اليوم ٤٣ الفا ولوا حصي بنو حسن وبنو صخر والبادية
اباغ سكانه مئة الف او يزيدون ولو ارتفع فيه علم الامن كما يحب واعطيت الاراضي
الموات للاهلين وسجلت عليهم بحيث لا ينافعهم فيها منازع لان أكثر المنازعات
تثور على الاراضي بلغ سكان هذا القضاء نصف مليون نسمة بعد عشر سنين
وأهم العاديات التاريخية في هذا القضاء قصبة مادبا فقد كانت كاحدى
الحرب منذ نحو ثلاثين سنة فهاجر اليها جماعة من مسيحيي السرك اعطتهم
الحكومة اياها خربة فعمروها فما هو الا أن وجدوا فيها آثارا مهمة مثل سوق
طوله ١٤٠ مترا له عمد على الجانبين وبيننا كانوا يحفرون في انقاض الكنيسة
ليقيموا كنيسة جديدة عثروا سنة ١٨٩٧ على قطعة من الفسيفساء في الصحن

قرفعوا عنها المعاول وأزالوا ما كان علق عليها بتوالي الايام من التراب والاحجار
فاذا هو أثر عظيم من آثاره دما هو مصور (خريطة) فلسطين وما فيها من
المعاهد المقدسة والكنائس ولو سلمت كلها من معاول الذين حفروها لبلغ ثمنها
المليونين والثلاثة من الليرات ولكن القطعة الصالحة الباقية منها تدل على تلك
المدينة القديمة التي تمتعت بها مادبا قديما منذ عهد الاسرائيليين الى المويين الى
العرب النبطيين الى المسكبيين وكانت في عهدهؤلاء قلعة مهمة واستولى عليها هيركان
ملك اليهود قبل المسيح وأصبحت على عهد الرومانيين جزءا من نبرا أو العربية
الصخرية. وآثار الفسيفساء كثيرة في هذه القرية رأينا بعضها في الدور الخاصة
تلمع فتأخذ بالابصار اما اقراض دورها ومعابدها وأحواض مياهها فحدث عنها
ولا حرج وقد دخل أهلها في المدينة اليوم بفضل مدرستي الروس واللاتين اللتين
أنشأتا فيها وليس بين سكانها أناس من المسلمين الا بعض باعة وحراثين
قال ابن خرداذبة ان ظاهر البلقاء كان كورة من كور دمشق كان جبل العور
وكورة مآب وكورة جبال وكورة الشراة وكورة نمان كانت كل منها أقليما برأسه
قال الشاعر

سلم على دمن أقوت بعمان واستطلق الربيع هل يرجع بتيان

قال ياقوت ان مدينة جرش هي شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وعرف
السواد بانها نواح قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها وفي أرض البلقاء
عدة بلاد ورد لها ذكر في التاريخ العربي مثل قرية جادبة التي ينسب اليها الجادي
وهو الزعفران وقرية مؤمنة من المشارف التي كانت بها تطيع السيوف المشرفة والموقر
الذي كان ينزله يزيد بن عبد الملك قال كثير
سقى الله حيا بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب

والقسطل نزله الوليد بن يزيد وهو قرب البلقاء وخلفه فيه عمه العباس وكان
الوليد يستوطن الزيزاء. وفي البلقاء قصر الازرق والغديين قريب من حصن الازرق
والغديين قيل انه من عمل حوران ومعظم الروايات على انه من عمل البلقاء

العمران والسكة الحجازية

ان كان لدور الاستبداد حسنة فاعظم حسنة سكة حديد الحجاز التي مدت في عهد الخلع وبشزين قرية أحمد عزت باشا العابد وانتهى منها حتى الآن القسم الاعظم من دمشق الى المدينة المنورة وطوله ١٣٠٣ كيلومترا ومن حيفا الى درعا ١٦١ كيلو مترا فانفق عليها فيما بلغنا ثلاثة ملايين ليرة ونصف صرف قسم مهم منها في مدينة دمشق فانفق منه المليون والتجارة والزراعة والعملة وبعض أرباب الصناعات والفنون وافق القسم الاعظم في ثمن أدوات وقاطرات ومركبات وحديد من معامل أوروبا

وما كاد ينتهي الخط الى المدينة حتى نهضت البلاد بعض الشيء ولا سيما دمشق والمدينة وحيفا نهضة اقتصادية لا يستهان بها وحسن حال الناجر والمزارع وسارت الامور الاقتصادية على نسق مرتب معقول فلم يعد في التجارة ذلك الكساد الذي نعهده في دمشق ولا التقهقر الذي كان في حيفا ولا الغلاء الفاحش في اسعار المدينة وهكذا انتفعت المحطات على طول الخط من دمشق الى المدينة وعددها ٧٥ محطة ومحطات حيفا ودرعا وعددها ١٥ فاختذت كل محطة بقدر حظها من العمران وانتفع منها في الاكثر ما كان له اثر قديم في الارتقاء

ولو كانت الحكومة تلتفت بعض الالتفات لعمران البلدان لاختذت بايدي كل من يودون انشاء بيوت ودكاكين وخانات وفنادق في المحطات واعطتهم من الدونمات بمجملتها حرائق وينون عليها مساكن على شرط ان يعمروها في مدة تعيينها لهم واذا أمكن ان تمنح بعض محاوريجهم اعانة مالية قليلة يستعينون بها على التعبير فكيف لاندحش والحالة هذه اذا رأيناها ورأينا عاملها يوقف من ينون المساكن في مثل مدائن صالح وعددها لا يقل عن خمسين محلا بدعوى انه لا يسوغ انشاء مدينة الا بإرادة سنية فبلا استصدرت الارادات السنيات في الحث على مثل هذه المشروعات التي لا يتصور انفع منها في البلاد

هكذا فعلت الحكومة مع من يريدون اقامة الدور والخوانيت ولم تقصر في

وضع العقبات في سبيل من يريد غرس أشجار البرتقال لانه ثبت انها تنجود في تربة هذه البلدة الرملية . ولت الادارة تحمل الحكومة على ترغيب الناس في انشاء الدور والحدائق لما في ذلك من الفوائد لعمالها اذ يستغنون باسراتهم عن صرف أوقات الفراغ في المقامرة ومعاقرة الحفرة ويقل عدد من يتعاطونها منهم

نعم ان من المحطات ما لا يثبت فيه شيء بحسب الظاهر ولا تملطه السماء الا ساعات غير معلومة في السنة ولا سيما بعد أرض البلقاء وهو اؤها جاف حار محرق وعمرانها متوقف على عمل كثير طويل ومال غزير ليس بقليل فامثال هذه المحطات تترك الآن وينشط كل من يود اعتماد الاراضي الموات قرب المحطات وانشاء دور وحواريات فيها ولو فعلت الحكومة لاستغنت مع الزمن عن حراسة هذا الخط بكتائب من الجنود ترابط على طول السكة واقامة اثنتي عشرة قلعة من الهدية الى المدينة وهي اليوم تجعل في كل قطار يسافر من بعد لواء حوران الى المدينة جملة من الجنود النظامي المسلح لحماية الركاب من عيث البادية اذا حدث حادث لا قدر الله .

فقول عيث البادية ولو عملت الحكومة الفكر منذ اليوم الذي نوت فيه تمديد هذا الخط الحربي الديني التجاري لاوسعت لهم من تلك السهول الحصية في لواء الكرك ما كانوا الآن استغنوا بزراعته عن شن الغارات وايذاء السابلة طمعاً في اقتناص ما يتبلغون به ولتوفر اعلى تربية مواشيهم وزرعهم كما يتوفر اليوم بنوحسن في قضاء عجلون وبنو صخر في قضاء السلط والحويفات في معان والمجالي والضبور والطراونة في الكرك وغيرهم في غيرها وكل هؤلاء من العرب الرحل يتأنون بقدر ما يدخل النور على اولادهم ويستمرؤن ارباح الزراعة ولماشية ولا شك انهم يعدلون بته عن الغارة كلما أسكنت الاصقاع التي في جوارهم وخف الاعتداء عليهم .

ولسكة الحجاز الفضل الاكبر في تأنيس شارد البدو اذ عرفوا بان قوة الدولة مهمة في كبح جماح كل معتد . وند أخذت تصدر حاصلاتهم الى الاسواق التجارية الكبرى فكانت الحبوب تكسب في بعض السنين الماضية في جهات لواء الكرك

وحوران فاصبحت اليوم تسافر الى القاصية . وأبواب الشام والحجاز والبحر مفتحة امامها . وهكذا يقال في السمون والحبن والالبان والاصواف التي تحصل من نياهم ومعزاهم واغنامهم وابقارهم

في لواء الكرك وحده أراض موات تكفي لاعالة كل أهل البادية من العرب خصوصاً وهم الموصوفون بكاه فطرتهم ومضاه عزائمهم فاذا توفرت لهم الاسباب تحصل الفائدة الاقتصادية والعمرانية المطلوبة من السكة الحجازية فعمل هذه في نقل الانفس والاموال والمتاجر السنة كلها لا كما هي اليوم تشتغل أشهر معدودة من السنة في موسم الحج ثم تبلى بالفتور الا قليلا . وان من عرف ان هذا الخط عمر بالاعانات التي جمعت من أقطار العالم الاسلامي وهمة ضباط العثمانيين وكتائب جنودنا وان ماث هلكوا في سبيل انشائه بحيث لم يكن يمد الكيلومتر الواحد الا على اشلاء بضعة من رجالنا يوافق على تساهل ادارة السكة مع الضباط والجنود والخط خط عسكري

ولقد لاحظنا ان القطار الحجازي يقطع المسافة اليوم بين دمشق والمدينة في ثلاثة ايام بلياليها يقف منها في المحطات الكبرى مثل درعا ومعان وتبوك والمدائن نحو اثنتي عشرة ساعة دع عنك الوقت الذي يصرفه في المحطات الصغرى وان معدل سيره على عشرين كيلو مترا في الساعة فلو تدبرت الادارة في اختصار هذه المدة في الوقوف وحملت قاطراتها على الاسراع قليلا في سيرها وسراها لجاز القطار المسافة بين دمشق والمدينة وبين حيفا والمدينة في يومين وليتبن فتوفر على الناس بعض عناء السفر واذا رأت الادارة انه مما يلائم مصلحتها الاقتصادية تنزيل اسعار الركوب في الدرجة الاولى والثالثة وأجرة الركوب في الثالثة من دمشق الى المدينة أربع ليرات وفي الدرجة الاولى ثمان ليرات فاسقطت منها على الاقل ثلاثين في المئة استغادات فيما نحسب أكثر . وكثر الذاهبون والجاثون وعظمت الفوائد من ذلك فعندها تقصد المدينة أكثر من الآن للزيارة والتجارة ويقصد الحجازيون بلاد الشام ليصطفوا ويتجروا

وليت الحكومة تتساهل في الاعتماد على ابناء البلاد وتختار الجند الذين يحرسون الخط من ابناء حوران مثلاً فهم أقدر على تحمل المشاق من ابن مدن آسيا الصغرى وسورية ومقدونية ونظمتها في التجربة التي جربتها في الطابور الذي افته من الشروق بالاجرة وسسته هجين سوار أي فرسان الهجين والشروق هم سكان شرقي المدينة أي نجد قد ثبت لها ان ابن هذه البلاد انفع في خدمتها اذا شبع من ابن البلاد القاصية والفارس النجدي اليوم يتناول ٤٥٠ قرشا صحيحا في الشهر هو وهجينه نظن وما الجندي يكلف الحكومة أقل من ذلك فضلا عن تعرضه للهلاك من هواء بادية العرب وكذلك يقال لادارة السكة ان تختار عمالها من العارفين لغة البلاد قبل ان يعرفوا التركية لان في ذلك فوائد مهمة للخط نفسه واذا كان لابد من الاستكثار من ابناء آسيا الصغرى وغيرها في جملة عمالها فاعليها الا ان تشترط عليهم تعلم العربية وبذلك تضاعف خدمتها للادارة وللبلاد معا على ان ابن العراق والحزبرة والحجاز أقدر في كل حال على تولي اعمال هذه السكة خصوصا في النصف الاخير منها من جهة المدينة

ولقد لاحظنا على ادارة السكة اهمال عمالها للتنظافة في المركبات ولا سيما في الدرجة الاولى بحيث انها لا تزيد الزاكب فيها راحة الا بكون مقاعدها مفروشة بالحمل (القطيفة) وهي أضيق من مقاعد الدرجة الثالثة ولا يخفى على القارئين بامر السكة الحجازية ان التدخين محظور في القطار في الدرجات الثلاث باوربا دع تعاطي المسكرات وانه ليسونا مارأيانه من ان بعض موظفي الحكومة الذين كانوا آتين من المدينة المنورة يستطيعون في مركبات الدرجة الاولى سفرة الشراب وبتعاطونه مع النقول اللازمة له والاغاني التي يطربون بها كأنهم في حانة أو بيت خاص من غير تكبر يؤذون بذلك جلساءهم ويكونون بعمالهم أعظم عار على المسلمين والاسلام فليت ادارة الشركة تحظر الشراب في القطارات والمحطات على ركبها وعمالها مباشرة وتغرم من يجزأ على خرق حرمة شريعة الاسلام وقانون المدينة الحديثة غرامة ثقيلة تربى كل مقترف لهذه الكبيرة فان كان من عمال الحكومة الا من

عصم الله من يفسدون اخلاق الرعية بما يعودونهم اياه من احتساء كؤوس الراح في
المديريات والاقضية والالوية والولايات فما اخرى الحكومة ان تكسف مفاسدهم
على الاقل عن قصاص البلد الطيب رحمة بالاسانية والاسلام

بعض أعمال الكرك

قال غرس الدين (١) الظاهري واما المملكة الكركية فليست هي من الشام
وهي مملكة بمفردها وتسمى مأب وهي مدينة حصينة معقل من معاقل الاسلام
بها قلعة ليس لها نظير في الاسلام ولا في الكفر تسمى حصن الغراب لم تكن
فتحت عنوة قط واما فتحها المرحوم صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد فتح
القدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت بيد البرنس ارناط وكان يتعرض الى
حجاج بيت الله الحرام

وقال ان الشوبك كانت مدة بيد الافرنج وهي مضافة الى الكرك وحصينة
ايضا ومسيرة ماملة الكرك من العلى الى زيزة مقدار عشرين يوما بسير الابل
وهي بلاد عدية بها قرى كثيرة ومعاملات والمسلك اليها صعب في منقطعات قليلة
الماء حتى انه اذا وقف أحد على درب من دروبها يمنع مائة فارس اهـ .

بلدان في لواء الكرك طالما سمعنا بهما وهما قصبه الكرك وقصبه السلط
فالاولى كنا نتوهمها أهم مما رأيناها والثانية رأيناها أهم مما سمعنا به من وصفها وهذا
من جملة الاسباب التي تدعو أهالي البلقاء ان يطلبوا الى الحكومة جعل السلط في
التقسيمات الادارية مركز لواء بضم أراضى بني حسن من قضاء عجلون وعمل حوران
اليه وجعل مادبا قضاء وعمان قضاء والزيزاء قضاء وبذلك يتوفر على أهل القاصية
من لواء الكرك العناية الشديد الذي يلاقونه بشد الرحال الى حاضرة اللواء كلما
عرض لهم عمل فقد بلغني ان أكثر الناس يستنكفون من اداء الشهادة اذا طلبوا
اليها من السلط الى الكرك مثلا وينكرونها ويتحملون الاثم في ذلك لان الشاهد

يستحيل عليه ان يضعيع لهضة أيام في الذهاب والاياب ويتكاف مالا طائفة
في السكة الحديدية وأجرة دواب

فاذا اختار ابن السلط مثلا ان يذهب الى الكرك يضطر اما الى المسير ثلاثة
أو أربعة أيام على الدواب ذهابا ومثلها ايابا واما ان يركب دابة ٢٥ كيلومترا
من السلط الى عمان ومن هذه وهي في الكيلومتر ٢٢٢ يركب القطار الحجازي
الى القطرانة وهي في الكيلومتر ٣٢٦ ومنها يركب دابة الى الكرك مسيرة ست
ساعات وهكذا يتكاف من له عمل طفيف في مركز اللواء الى مال جزيل
ووقت طويل .

وانكى من ذلك ان معان وهي في الكيلومتر ٤٨٩ بل ان تبسوك وهي في
الكيلومتر ٦٩٢ بل ان سدائن صالح وهي في الكيلومتر ٩٥٥ اذا اضطر أهلها
الى قصد الكرك يقطعون هذه المسافات في السكة الحديدية أو الدواب وكلاهما
شاق يحتاج لوقت ومال فتقسم لواء الكرك الاداري مشوش مضطرب وما احراه
ان يقسم لوائين احدهما مركزه السلط كما تقدم والثاني يجعل مركزه في معان أو
اذرح وهي مدينة متوسطة من اللواء ولكنها اليوم خربة لاسا كن فيها وكانت
من المدن العامرة قبل الاسلام وبعده حتى ان أهلها صالحو في غزوة تبوك على
الجزيرة فبلغت مائة دينار في كل رجب وذكر المقدسي انها مدينة متطرفة حجازية
شامية وعندهم بردة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده وهو مكتوب في اديم
وبذلك يستدل انها كانت عامرة في القرن الخامس للهجرة بل عامرة الى عهد قريب
وكانت هي وما تب مدينتي الشراة

وأرض الشراة من الشوبك الى رأس النقب كما يحددها الاهلون اليوم أي
مسيرة يوم طولا وعرضها ساعتان وهي الارض المفلوحة مؤلفة من تلعات واودية
وفيها عيون غزيرة لاتقل عن أربعين عينا لا يتابع باكثرها وقسم منها الآن في
عمل قضاء الطفيلة والاخر في قضاء معان وعلى جنوب الشراة بلاد طية أو جبال
طية وهي الحد الجنوبي لسورية كما عرفها العرب قال حاتم الطائي وقد أغارت

طلي على ابل للحارث بن عمرو الحفني وقتلوا ابنا له : (١)

الا انني قد هاجني الليلة الذكرو
ولكنني مما اصاب عشيرتي
وقومي باقران حوالهم الصير
ليالي نمسي بين جوز ومسطح
نشوى لنا من كل سائمة جزر
فيا ليت خبير الناس حيا وميتا
يقول لنا خيرا ويمضي الذي اثمر
فان كل شر فالعزاء فاتنا
على وقعات الدهر من قبلها صبر
سقى الله رب الناس سعا ودبمة
جنوب الشراة من ماب الى زغر
بلاد امري لا يعرف الذم بيته
للمشرب الصافي وليس له الكدر

وفي اذرح عين ماء غزيرة فوق اراض واسعة يمكن تشجيرها كلها ولها قلعة
لا تحتاج الا الى ترميم خفيف وهي على أربع ساعات الى الغرب الشمالي من معان
وعلى ثلاث ساعات من وادي موسى واقاض دورها وعقودها وعمدها موجودة
لا تحتاج الا الى بنائين فتكون مدينة تامة الادوات في بضعة اسابيع وفيها اليوم
اقاض ثلاثة طولحين

ربما يستهجن بعضهم ان تقترح جعل مركز لواء الكرك في اذرح وهي خراب
وتترك الكرك وهي المشهورة بتاريخها خلقت بما لها من المركز الحصين الواقع على
جبل عال خال من أطرافه لتكون عاصمة كبرى فضلا عن مركز لواء ولكن مرا كز
الحكومات يجب ان تكون في بقعة متوسطة والكرك منحرفة عن طريق السكة
الحديدية ومنحرفة عن نقطة دائرة اللواء وعمرانها القديم لا يشفع لها ان تكون
الحاكمة على مدائن صالح وهذه من الكرك على زهاء ٦٦٠ كيلومترا بل الاجدر
ان تكون العقبة وتبوك ومدائن صالح كلها لواء خاصا برأسه اذا أرادت الحكومة
تحضير البادية وحكم أهلها على ما يجب

ولعل بعضهم يعترض بقوله ان العمران مستحيل في هذه الاصقاع مادامت

خالية من السكان ولا ماء فيها ولا كلاء، ولكن الحكومة الصالحة تجذب اليها الانفس كما تحمل الاموال وناهيك بان عشيرة الفقرا وهي لا تقل عن ٨٠٠ بيت تنقل بين تبوك ومدائن صالح تسكن في مدة قليلة وذلك لان الاراضي موجودة بكثرة والمياه اذا حفر في الارض ثلاثة أو أربعة امتار تنبسط حالا والبقاع التي ينزلونها مستعدة كل الاستعداد لزراعة البرتقال والنخل فاذا أخذت الحكومة بأيديهم فذاقوا لذة الكسب يعدلون عن عيش الغزو الذي يسوقهم اليه فقرهم ولا يلبثون ان يصبحوا كسائر العرب الساكنة يدفعون الضرائب ويخدمون في الجندية مثل عامة العثمانيين لانعتقد ان السكرك يتراجع عمرانها اذا نقل منها مركز اللوا لانه بمادهمها من الفتنة الاخيرة فدخرت بحيث لم تعد صالحة لسكنى أهلها ولا موظفها الا بعد بضعة سنين على ان الحكومة قد جعلتها نحو عشرين سنة مركز لواء ولم ترمم قلعتها ولا أتمت مكتبها الكبير ولا مسجدتها الجامع فانت الآن اذا دخلتها تنقبض نفسك من بلد ترى الخراب يتحيفه من كل جانب فتشاهد وعينك تدمع خرابا في العقول وخرابا في النبات وخرابا في الجماد ومثل هذا البلد يعمر بالعالم والعرفان أكثر من عمرانه بالسيف والسنان.

تنقبض النفس من السكرك على جمال في طبيعتها وهي تطل من جهاتها الاربع على مناظر لطيفة ومنها البحر الميت ووادي الاردن الى أعالي جبال أريحا وذلك لانها كانت في معظم ادوارها التاريخية ظلمة مظلومة واشتهر أهلها بحب الغارة على عهد الاسرائيليين والموآبيين وحاربها شاول وداود وقاومت قلعتها جيورام وملك اليهودية فرجعا عنها مدحورين واضمحل الموآبيون في القرن الثاني قبل المسيح واصبحت السكرك مفتاح تلك البلاد على عهد الصليبيين واستولى عليها رودي شاتليون الذي يسميه مؤرخو العرب البرنس ارناط وذلك لانها حاكمة على طرق قوافل مصر وبلاد العرب القادمة الى سورية ولذلك حاربها صلاح الدين يوسف بن ايوب حربا عوانا وأقام الايوبيون فيها وحصنها ومازال ملوك مصر الشام يحاصرونها ويقتلون وأهلها عليها وآخر اعمال السكركين ذبحهم عسكر ابراهيم باشا المصري

ثم فتنهم الاخيرة المشؤمة وبلغ المسيحيون في الكرك نحو أربعة آلاف نسمة اكثرهم روم وفيهم لاتين وقليل من البرتسنان وفيها مدارس حقيرة لذكورهم وأناتهم ولش كان المسيحيون اليوم على مستوى جيرانهم المسلمين وكانوا نحو ١٥ ألفا قبل الحوادث الاخيرة أراقى بقليل في المدينة فسيكون مستقبل هذه البلاد لهم وناهيك بان تلامذة المكتب الرشدي اليوم وهم زهاء ثلاثين تلميذا كلهم من أولاد المسيحيين واذا كان فيهم التلميذ الواحد أو الاثنان من أبناء المسلمين فيكون كسلانا غير مواظب هذا في مدارس الحكومة فما بالك في المدارس الطائفية المسيحية وتجارة البلد بأيدي اناس من أهل دمشق والخليل ولسكنهم فقدوا أموالهم في الفتنة ولم يعوضوا عنها حتى الآن سوى سبعة في المئة مما قدر لهم

ولم تبق الفتن من العاديات القديمة مايدكر في هذه المدينة اللهم الا انقراض دائرة وجميع هذه الديار كانت عامرة وهي اليوم مأوى الغراب والبوم وناهيك بان اللجون الواقعة على ساعتين من الكرك كانت بحسب ما رأينا من انقراض ارتجتها الضخمة من المدن المهمة فاصبحت اليوم والحكومة تسكن فيها طائفة من المهاجرين وتعمر لهم دورا فلا يلبثون ان يرحلوا عنها اذ رأوا ناقص نفوسهم فيها بسبب الماء والهواء وتركوا منازلهم خاوية فانزلتهم الحكومة في بعض انحاء البلقاء وما ندرى كيف انقلبت طبيعة تلك البلاد المأهولة قديما حتى لم تعد المدينة منها تصالح لان تكون مزرعة حقيرة لفساد هوائها ومائها فسبحان القابض الباسط المعمر المدمر

العربية الصخرية

طريق السكرك من القطرانة وطريق وادي موسى من معان يتبدآن بتراب كاسي ممزوج بصلصال لاستعداد فيه للزراعة اليوم ولذلك تظنك اذا توسطت تلك السهول وعرضها نحو ثلاث ساعات من الخط الحديد في قفر بلقع حتى اذا انتصف الطريق تتراعى لك بعض عيون وزروع والمسافة بين معان و وادي موسى سبع ساعات لاراكب كما هي بين القطرانة والسكرك . وادي موسى هو

قرية الجبي وعلى نحو ساعة منه بئرا أو العربية الصخرية كما يسميها الافرنج وسميها العرب سلعا والسلع الشقوق في الجبال والغالب ان سلعا قسم من العربية الصخرية وهي عبارة عن جبال (اذا رآها الراي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها) وحدثنا من زار خرائب الحجر أو مدائن صالح انها دون خرائب بئرا بمكانها .

وكان ابتداء هذه أيام عز طويل على عهد الادوميين والنبطيين العرب وقدماء الرومان والمكايين وامتد حكمها الى دمشق وكان يدها زمام التجارة مدة قرون في هذا الشرق الاقرب ولم تحط الا بارتقاء مملكة فارس وانبساط ظل سلطان تدمر ولما جاء الاسلام كانت خرائب كما هي اليوم والغالب ان بقايا مجدها أتت عليها الزلازل فدكنها كما دكت غيرها من المصانع والآثار

اذا أشرف الراكب على قرية وادي موسى يرى روح النعيم فيها خصوصا ويكون قد قطع ساعات في صقع أجرد أمرد ليس فيه من الاشجار الا الزعرور ولا من الغلات الا قليل من الخنطة والشعير لكن في وادي موسى حدائق بديعة تسقي من العيون الدافقة عليها من الهضاب المجاورة حتى تخال نفسك لما تراه من بهجة الخضرة انك في صقع عامر زاهر فاذا قصدت الى عاصمة بئرا وتجلت في السيك أي دخلت بين الجبلين المتناولين وكل قطعة منها تبلغ ألوفا من الامتار المربعة علوها من ٣٠ الى ٥٠ متراً وأنت تسير في طريق لا يقل عرضه عن خمسة أذرع ولا يزيد عن عشرة ليس فيه الا الاحجار والحصا أو مسایل ماء لا ينبت فيها الا الرتم والطرفاء تشاهد في الاعالي النواويس والقصور والمسلات محفورة في الصخر وينفج الطريق مسيرة نحو ثلث ساعة وينقسم قسمين قسم ذات اليمين وفيه تمة المدينة والقسم الآخر جبال طبيعية تمتد الى بعيد وتتصل بجبل هارون من أجل المناظر المشرفة على تلك الاودية والجبال

وهنا يتثل أمامك قصر فخم يسميه الناس خزنة فرعون والغالب انه كان معبدا لآيزيس أنشئ على عهد الامبراطور ادر يانوس الذي زار هذه المدينة

سنة ١٣١ وفي واجهة هذا القصر رواق يتقدمه بضعة أعمدة كبرى وفوقها ثلاثة أعمدة أصغر منها وتقوش وتيجان وربما كان يصعد الى العلية بلولب من الصخر بدليل ما يشاهد في الحائط من أثر الأدراج واذا دخلت هذا الرواق ترى على اليمين قاعة كبرى تلمع أحجارها وتتموج كأنها خرجت الآن من يد نقاشها وفي الجهة اليسرى قاعة مثالا وفي الصدر القاعة الكبرى أو الزدهة المدهشة وكل هذه العمدان والسواري والتيجان والقاعات والرواق محفور في الصخر أو في هذا الجبل قطعة واحدة فكان الحجر كان يصدانعي هذا الهيكل وغيره من الهياكل والنواويس والقصور كالطين يحملون منه ما يشاؤون والذي يزيد في الدهشة ان الحجر أحمر في هذه الجبال أو من نوع الحجر الرملي ولبكنه بمئاته كالصخر الامم ثم ترى عليه ذاك اللعان من موجة حمراء الى أخرى زرقاء الى مثالا يضاء الى جانبها ذكنا فسيحان من أنشأ هذا الصخر هنا منقطع النظير ورزق بانيه يدا صناعا تتفنن في تقطيعه ونقره بما فاق به البناء في سائر عاديات سورية . فان كانت قلعة بعلبك تنم عن ذوق سليم وعلم واسع في النقش وجرا الاثقال فان هذه العاديات الخالدة الازلية تنادي بلسان حالها هذه عظمة الديان الى جانب عظمة الانسان .

وترى الى جانب الآثار قساطل الفخار في جانب السيك الذي يشبه من بعض جهاته الفج الواقع في شمالي مدخل قرية معلولا في جبل سنير (قلمون) وذلك على علو القائمة استحجرت مع الصخر حتى كأنها بعضه وهناك على بضعة دقائق من خزنة فرعون كان في الغالب مخزن ماء هذه العاصمة برمتها وعلى مقربة من مخزن الماء وهو منقور في الجبل أيضا ملعب التمثيل تفر في الصخر وله ٣٣ ممشى لجلوس المتفرجين ويسع ٣٠٠٠ نسمة وفي هذا الجوار أقدم النواويس وأهمها وبعد ذلك بجي قصر البنات وهو بناء من الحجر رصفت حجارتها كما ترصف الابنية الضخمة من قلاع أبراج وأسوار ونحوها والغالب انه كان للمتأخرين شبه دار للحكومة وهو مما عمر ويل عهد الاسلام وهناك ولا سيما في خربة النصارى آثار بعض اديار يدل اسمها قبرسها على انها من عمل المسيحيين عند ما كانت لهم حكومة هنا على عهد الرومان

واليونان وعلى مقربة من تلك الجبال الشوامخ والمنفراجات والادوية بغض نواويس وآثار ولكنها دون آثار بتر في المسكنة وفي جبل الصبر املعب أو صورة تمثل قتلايين سفن حربية

ويقول بعض علماء الآثار من الالمان (١) ان معظم القبور التي حفرت على مثال قبور الحجر يرد عهدها الى الملك اريئاس الرابع أحد ملوك بتر أي ٩ و ٣٠ سنة قبل المسيح وبعده ولبس في وادي موسى أعده من قبل الحكم الروماني عليها وان مايشاهد من صور أبي الهول وايزيس ورؤوس الحملان يدل على ان هذه البلاد تأثرت بالمدينة المصرية والمسلتان الموجودتان في النجر تمثلان ربي النبطيين اللات ودوزارس وانها كانت من كز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون على الأقل وان المدينة اليونانية دخلت وادي موسى على عهد البطالسة فاختلط العنصران المصري والسوري وظل القول الفصل فيها للمدينة اليونانية الى عهد اريئاس الرابع وفي بتر ٨٥١ مصنعا من القبور والمعابد والمذابح

وبالجملة فان من أراد ان يتوسع في درس هذه المدينة الازلية وجب عليه ان يصرف اياما في خرائبها كما يفعل بعض سياح الافرنج وعلماء الآثار منهم فيقصدها يضربون فيها خيامهم ويصرفون في امتاع النظر بها الاسبوع والاسبوعين وعلى من يحب التوسع في البحث ان يستعين بما كتبه علماء الآثار من المصنفات في وصف هذه المصانع بالانكليزية والالمانية والافرنسية وغيرها من لغات المدينة الحديثة في جوار هذه العاديات المدهشة المنبثة بمدينة راقية جدا ينزل نحو الف نسمة من العرب يأتون اياما قلائل الى الحي او وادي موسى لتعبد زروعهم السقي ثم يشتقون في الصيف والشتاء في جبال الشراة على ساعتين أو ثلاث أو أربع من بلدهم في خيام الشعر وهم فرقان تواف الاولى من عرب الشرور وبني عطا والثانية من الهلالات والعبيدية والعلاياو يغلب عليهم الفقر ومنهم من يزرع في أراضي الحويطات والتعيمات على مقربة من بلدهم بالحرس وايس فيهم من يقرأ ولا من يكتب وفي وادي موسى

مدير عين حديثا يتبع قضاء عمان كما ان في الشوبك مديراً ويلبس أهل وادي موسى الكوفية والعقال ويسمونه المرير أي المقتول والعبادة وفقطانا مسدولا بروق سراويل وفي أرجلهم نعل يعملونه من جلد البعير وينوطون به حبله يدخل منها باهم الرجل تعلق وفي الفاظهم بعض فصيح مثل قولهم سرى لسيرالليل وقولهم الهدوم للثياب العتيقة وقولهم الريف الاراضي الخصبة والقابلة للداية وغير ذلك . ويعنون كثيرا بتربية البقر والغنم والماعز ولا ابل عندهم مثل بني حنظل

وما يشكوه أهل معاز يشكوه منه أهل وادي موسى يشكون من ان الاراضي المباحة غير مسجلة باسمائهم وان تشير في التبعات والمواطات تدعي ملكيتها الى حين هذه لم تسجل نفوسها في سجلات الحكومة ولا تدفع الا ما يصيبها من الاموال الاميرية وهي رحالة تضرب في الفجاج الى نجد وابعدهم من نجد ولا تتوفر على زراعة الارض كلها واذا قتل البدوي أحد أهل البلدين يفر فلا يلوي على شيء . واذا قتل الفلاح من أهل معان ووادي موسى رجلا من أولئك البدو تقاضاه الحكومة الدية وتحبسه وترهقه فكان الحكومة لا تقوى الا على كل ضعيف خفيف الحال . سألنا أحد كبار شيوخ وادي موسى هل زرت باعماه مدينة دمشق في حياتك فأجاب اتى لم أزرها أنا ولا أحد من أهل بلدي وأنى لي بزيارتها والطريق عشرة أيام راكب المطايا وفي السكة الحديدية احتاج الى أجرة لم أملكها حياتي فتأمل .

وبعد فان من أجمل المناظر اذا خرجت من السيك أو من الصدفين أي جانبي الجبلين وفارقت تلك القن والقل تقصد الى عين موسى صعدا في هضاب عنقاء شماء وأطلت على تلك المدينة التي يستحيل على أي جيش من جيوش العالم ان يفتحها ويستبيح حمى من فيها اذا أرادت الدفاع تشرف من ورائها على أراض واسعة جدا تظنها بحراً من أشعة الشمس وهي وادي العربية طوله ثلاثة أيام الى الغرب وعرضه الى الشمال أربعة أميال من العقبة الى الغور وفي تربيته حصا وأحجار ورمال وأملاح وينابيع قليلة وبالقرب منها بعض الحضرة كما نجدونها

وهناك بعض الاشجار البرية ويقصد البدو هذا الوادي في الشتاء لانه غور يرعون فيه مواشيهم كما يقصد أهالي الطائفة والسكر والسبط ماجاورهم من الاغوار الى الغرب من ديارهم ويقصدون جهات الشرق في الربيع ويتوسطون في الشتاء والعصيف هذا نموج من عيش أهل الحجر والمدرم البوادي ممن تشهد خيامهم السوداء كما قال ابن معنوق في وصفها

قطع من الليل البهيم على الترى سقطت وفيها أنجم الجوزاء
والتي قالت فيها الشائرة الاعراية يوم زوجت في دمشق واسكنت القصور
والدور من اللبن والحجر
ليت تحقق الارباع فيه أحب الي من قصر منيف
أو كما قال الشاعر

الحسن يظهر في شيبين رواقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر
ولقد أحيينا ان نجر به المارة الاولى ففرنا ليلة في أرض ايل على شيخ من عرب
الشرور اسمه محمد ابراهيم وأخرى في بير البيطار على محمد أبي الفرج شيخ بني عطا
وهذان المزلان على مقربة من وادي موسى وكنا بقنا ليلة في الزيزاء عند فواز بن
سظام شيخ مشايخ بني صخر فرأينا العيش البدوي على اختلاف طبقاته ديمقراطيه
وارستقراطيه ونمنا في العراء تحقق علينا الرياح وخرجنا عن ألوف العادات فشربنا
من كؤس شرب بها عشرات قبلنا فلم تفصل كفتاجين القهوة وأكلنا الجريش
بمزوجا باللبن الرائب والمرق عليه رفاق تعلوها قطع اللحم والدهن بدون معلقة ولا
شوكة ولا سكين ولا صفيحة خاصة ولا منديل فوا كفتانهم وسامرناهم وحديثناهم
وحدثونا واستمعنا بعضهم انصرح له أي العيشين أفضل لهم البداوة أم الحضارة
فقلنا له انتم بالنظر لما نشأتم عليه أبقوا على بداوتكم واقربوا من المدينة ما سمحت
لكم نفوسكم ولكن اياكم ان تغفلوا عن تعليم أولادكم لينشأوا نشأة مدنية أكثر
من نشأتكم وعندها اذا أحبوا ان ينقطعوا عن عيش الخلافة يتيسر لهم ذلك .
اني أخاف عليكم أيها العرب اذا عاشتم الحضرة فاكثرتهم من عشرتهم ان تنسوا

المسكوك العربية ويختلط عليكم أمركم وتضيعون غارتكم السليمة الى ماتن منه
حضارتنا من النفاق والكذب والزور والخديعة ولولا الغارات لآثرت ان أعيش
في هذه الديارات بين البوادي ولو أشهرا معدودة من السنة « يتبع »

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر والمملكة الإسلامية

لعالم جغرافي عربي

من أمهات كتب الجغرافيا العربية القديمة التي احياها بالطبع دي كوي احد
أعظم المشرقيين في الغرب وطبعها مطبعة بريل في لندن من بلاد هولاندة طبعة ثانية
سنة ١٩٠٦ كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » لشمس الدين أبي عبد الله
محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ذكر فيه الاقاليم
الإسلامية وما فيها من المعاوز والبحار والبحيرات والأنهار و وصف امصارها المشهورة
ومدنها المذكورة ومنازلها الملوكة وطرقها المستعملة وعصر العقابر والآلات
ومعادن الحمل والتجارات. واختلاف أهل البلدان في كلامهم واصواتهم والستهم
وألوانهم ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم وتقوهم وصروفهم وصفة طعامهم وشرابهم
وتجارهم وميادهم ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يحمل من عندهم واليههم وذ كرمواضع
الاخطار في المغازات وعدد المنازل في المسافات وذ كرم السباغ والصلاب والرمال والتلال
والسهول والجبال والحوابر والساق (٢) والسمن منها والرقاق ومعادن السعة
والخصب ومواضع الضيق والجذب وذ كرم المشاهد والمراصد والخصائص والرسوم
والممالك والحدود والمصادر والجروم والمخالف والرموم والطاسيسج والتخوم والصنائع
والعلوم والمباحس والمشاجر والمناسك والمشاعر »

قال : « وعلمت انه باب لا بد منه للمسافرين والتجار ولا غنى عنه للصالحين
والاخيار اذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء وتطلبه القضاة والفقهاء وتبجه العامة
والرؤساء ويتنفع به كل مسافر ويحفظ به كل تاجر وما تم لي جمعه الابد جولاني

في البلدان ودخولي أقاليم الإسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي إلى الأديان والقراء وكتابة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين مع لزوم التجارة في كل بلد والمعايشة مع كل أحد والتفطن في هذه الأسباب بفهم قوي حتى عرفتها ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى اتقنتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتنقلي إلى الأجناد حتى عرفتها وتفتيشي من المذاهب حتى علمتها وتفطني في الأسن والألوان حتى رتبها وتدبري في الكور حتى فصلتها وبحثي عن الإخراجة حتى أحصيتها مع ذوق الهواء ووزن الماء وشدة العناء وبذل المال وطلب الحلال وترك المعصية ولزوم النصيح للمسلمين بالحسبة والصبر على الذل والغربة والمراقبة لله والحشية بعدم ما رغبت نفسي في الأجر وطعمتها في حسن الذكر وخوفها من الأثم وتجنب الكذب الطغيان وتحرزت بالحجج من الطعان ولم أودعه المجاز والمحال ولا سمعت إلا قول الثقات من الرجال»

وقال في موضع آخر في ذكر الأسباب التي عاينها في تأليف كتابه ويفهم منها مبلغ تعبته في وضعه ترجمته لنفسه على أسلوب هو الأدب بعينه والأبداع الغريب قال :

أعلم أن جماعة من أهل العلم ومن الوزراء قد صنفوا في هذا الباب وإن كانت مختلفة غير أن أكثرها بل كلها سماع لهم ونحن فلم يبق أقليم إلا وقد دخلناه وأقل سبب الاوقد عرفناه وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام أحدها ما عايناه والثاني ما سمعناه من الثقات والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب وفي غيره وما بقيت خزائن ملك إلا وقد لزمناها ولا تصانيف فرقة إلا وقد تصفحتها ولا مذاهب قوم إلا وقد عرفتها ولا أهل زهد إلا وقد خالطتهم ولا مذكرو بلد إلا وقد شهدتهم حتى استقام لي ما ينبغي في هذا الباب

ولقد سميت بستة وثلاثين اسما دعيت وخوطبت بها مثل مقدسي وفلسطيني ومصري

ومغربي وخراساني وسلمى ومقري وفقيه وصوفي وولى وعابد وزاهد وسياح ووراق
ومجملد وناجر ومذكر وامام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقي وبغدادى وشامى
وحنبلى ومتأدب وكري ومتفقه ومتعلم وفرائضى واستاذ ودانشمند وشيخ ونه استه
وراكب ورسول وذلك لاختلاف البلدان التى حلتها وكثرة المواضع التى دخلها
تم انه لم يبق شئ مما يلحق المسافرين الا وقد أخذت منه نصيباً غير الكدبة
وركوب الكبيرة فقد تفقهت وتأديت وتزهدت وتعبدت وفقهت وادبت وخطبت
على الماير واذنت على المناثر واممت في المساجد وذكرت في الموامع واختلفت
الى المدارس ودعوت في المحافل وتكلمت في المجالس واكملت مع الصوفية
الهرائس ومع الخاقانية التراثد ومع النوائى المعصائد وطردت في الليالى من المساجد
وسحت في البراري ونهت في الصحاري وصدقت في الورع زمانا وأكملت الحرام
عباداً وصحبت عباد جبل لبنان وخاطلت حينا السلطان وملكت العيد وجمعت على
رأسى بالزئيل واشرفت مراراً على العرق وقطع على قوافلنا الطرق وخدمت القضاة
والكبراء وخاطبت السلاطين والوزراء وصاحبت في الطرق الفساق وبعث البضائع
في الاسواق وسجنت في الحبوس وأخذت على أنى جاسوس وعانيت حرب الروم
في الشوائى وضربت النواقيس في الليالى وجلدت المصاحف بالكرى واشترت
الماء بالغلا وركبت الكنائس (٢) والخيول ومشيت في السائم والثلوج ونزلت
في عرصة الملوك وبين الاجلة وسكنت بين الجهال في محلة الحاكمة وكنت العز
والرفعة ودبر في قتلى غير مرة وحججت وجاورت وغزوت ورابطت وشربت
بمكة من السقاية السويق واكملت الخبز والخبز بالسويق ومن ضيافة ابراهيم
الخليل وجميز عسقلان السبيل وكسبت خلع الملوك وأمرؤالى بالصلوات وعريت
واقتربت مرات وكاتبسى السادات ووبخني الاشراف وعرضت على الاوقاف
وخضعت للاجلاف ورميت بالبدع واتهمت بالطمع وأقامنى الامراء والقضاة
أميناً ودخلت في الوصايا وجعلت وكيلاً وامتنحت الطرايين ورأيت دول العيارين
واتبعني الارذلون وعاندني الحاسدون وسعي بي الى السلاطين ودخلت حمامات

طبرية والقلاع الفارسية ورأيت يوم الفؤارة وعيد بر باردة وبشر بضاعة (١) وقصر يعقوب وضياعه ومثل هذا كثير ذكرنا هذا القدر ليعلم الناظر في كتابنا انالم نصفه جزافا ولا رتبناه مجازا ويميزه من غيره فكمن بين من قاسى هذه الاسباب وبين من صنف كتابه في الرقاهية ووضعه على السماع ولقد ذهب لي في هذه الاسفار نوق عشرة آلاف درهم سوى ما دخل علي من القصير في أمور الشريعة ولم يبق رخصة مذهب الا وقد استعملتها قد مسحت على القدمين وصليت بعدها متان ونفرت قبل الزوال وصليت الفريضة على الدواب ومع نجاسة فاحشة على الثياب وترك التسبيح في الركوع والسجود وسجود السهو قبل التسليم وجمعت بين الصلوات وقصرت لاني سفر الطاعات غير اني لم أخرج عن قول الفقهاء الاثمة ولم أؤخر صلاة عن وقتها وبما سرت في جادة وبني وبين مدينة عشرة فراسخ فادونها الافارنت القافلة وانتقلت اليها لانظرها قايمد وربما اكثريت رجالا يصحبوني وجعلت مسيري في الليلة لارجع الى رفقائي مع اضاءة المال والهم

وبعد فقد اجاد المقدسي في تأليفه ماشاء وشاءت الاجادة ومن يتعب في جمع مواد مصنفه مثل ما تعب يحيى منه آية يستفاد منها على الدهر فلم يترك شاردة في الجغرافية الطبيعية مما يتعلق بطبائع الارض ومياهها وجبالها وبحيراتها وسهولها الا وذكره على أحسن صورة عرفها العلم لعهده وكذلك لم يدع فائدة في علم خصائص الشعوب والجغرافيا السياسية والاقتصادية الا ألم به الماما لا يستطاع أكثر متعفي امره وهو القرن الرابع . وعلى كثرة ما أتى من المواد في كتابه الذي لا يتجاوز الخمائة صفحة من هذه الطبعة فانك تجد كل فائدة قد ذكرت في موضعها بتنسيق عزيز أدعش من نظر فيه من علماء المشرقيات في الغرب فأيقنوا بما رأوه ان فصل الله غير محصور بأمة معينة ولا زمن خاص .

(١) بشر بضاعة بالضم وقد تسكر كما في التاج بشر معروفة بالمدينة كان يطرح فيها خرق الحيش ولحوم السكلاب والمنتن قطر رأسها ستة أذرع .

ولقد كنا نقول ونحن نطالع ماورد في كتاب أحسن التقاسيم في وصف بلاد الشام وفلسطين ان هذا الفصل أجل فصول هذا السفر لان المؤلف قدسى يحسن معرفة بلاده ووصف ما حوت من الميزات والخيرات ولكن من طالع الكتاب برعته تتجلى لما جادته في وصف جميع بلاد الاسلام وما يجب على المطالع معرفته منها واليك الآن ما قاله في اقليم مصر.

هذا هو الاقليم الذي افتخر به فرعون على الورى وقام على يد يوسف باهل الدنيا فيه آثار الانبياء والته وطور سيناء ومشاهد يوسف وعجائب موسى واليه هاجرت مريم يعيسى وقد كرر الله في القرآن ذكره واظهر للخلق فضله أحد جناحي الدنيا ، ومفاخره فلا تحصى ، مصره قبة الاسلام ونهره أجل الانهار وبخيراته تعدد الحجاز وباهله يهيج موسم الحاج و به نعم الشرق والغرب قد وضعه الله بين البحرين واعلى ذكره في الخافقين حسك ان الشام على جلالها رستاقه والحجاز مع أهلها عايله وقيل انه هو الرتبة ونهره يجرى عملا في الجنة قد ناد فيه حضرة أمير المؤمنين ونسخ بغداد الى يوم الدين وصار مصره أكبر مفاخر المسلمين غير ان جذبه سبع سنين متوالية ، والاعناب والأتیان به غالية ، ورسوم القبط به عالية ، وفي كل حين تحل بهم الداهية ، عمره مصر بن حام بن نوح عليه السلام وهذا شكله ومثاله.

وقد جعلنا اقليم مصر على سبع كورست منها عامرة ولها أيضا أعمال واسعة ذات ضياع جليلة ولم تسكن مدائن مصر لان أكثر أهل السواد قبط ولا مدينة في قياس علم هذا الاقليم قاطولها من نجد الشام ثم الحفار ثم الخوف ثم الزيف ثم اسكندرية ثم مقدونية ثم الصعيد والسابعة الواحات . قاما الحفار فقصبتهما القرما ومدنها البقارة الورادة العريش . واما الخوف فقصبتهما بليس ومن مدنها مشتل جرجير فاقوس غيفا دهنو تونة بريم القارم . واما الزيف فقصبتهما العباسية ومن مدنها شبرو دهنور سنهور بنها العسل شطنوف مليج محلة سدر محلة كرمين المحلة الكبيرة سندفا دمية بورة دقهلة محلة زيد محلة حفص محلة زباد سنهور الصغرى بريس

واما اسكندرية فهي القصبه أيضا ومن مدنها الرشيد مربوط ذات الحمام براس واما مقدونية فقصبتهما القسطاط وهو المصر ومن مدنها المز زينة الجزيرة عين شمس واما الصعيد فقصبتهما أسوان ومن مدنها حلوان قوص أجيم بلينا علاق اجمع بوصير القيوم اشموين سمسطا تندة طحا بهنسة قيس و بازاء الخوف جز برتان في بحيرتين قبهما تيس ودمياط.

الفرما على ساحل بحر الروم وهي قصبة الجفار على فرسخ من البحر عامرة أهلة عليها حصن ولها أسواق حسنة وهي في سبخة ومائها مالخ وحولها مصايد السلوى معدن الاسماك الجيدة وبها اذداد عدة وخيرات كثيرة وهي تجمع الطرق مذكورة سرية غير ان ماءها مالخ وطيرها مزمن وهذه السكورة كلها رمال ذهبية والمدن التي ذكرناها وسطها وفيها طرق ونخيل وآبار وعلى كل بر يد حانوت الا ان الريح ربما لعبت بالرمال فغطت الطريق والسير فيها صعب .

بليس قصبة الحوف كبيرة كثيرة القرى والمزارع عامرة بنيانهم من طين والمشتول كثيرة الطواحين ومنها يحمل أكثر مسيرة الحجاز من الدقيق والسمك وأحصيت في وقت من السنة فاذا هو يبلغ ثلاثة آلاف حمل حمل في كل اسبوع كلها حبوب ودقيق . والتأزم بلد قديم على طرف بحر الصين يابس لا ماء ولا كلا ولا زرع ولا ضرع ولا حطب ولا شجر ولا عنب ولا تمر يحمل اليهم الماء في المراكب ومن موضع على بر يد يسمى سويس على الجمال ماء آجن ردى ومن أمثالهم ميرة أهل القازم من بليس وشر بهم من سويس يأكلون لحم التيس ويقدون سقف البيت هي أحد كنف الدنيا مياه حمامهم زعاق وحشة ملولة والمسافة اليها صعبة غير ان مساجدها حسنة وبها قصور جميلة ومتاجر مفيدة هي خزنة مصر وفرضة الحجاز ومعونة الحاج واشترينا يوما بدرهم خطبا فاحتجنا به بدرهم حطبا وهذه السكورة غير طيبة ولا أرى في ذكر بقية مدائننا فائدة .

العباسية هي قصبة الريف عامرة طيبة قديمة شر بهم من النيل موضع الريف والحصب بنيانهم أفرج من بنيان مصر بها أصداد تحمل اليها وجامع حسن من الأجر رفقة سرية والمحلة الكبيرة ذات جانبين اسم الجانب الآخر سندفا بكل جانب جامع وجامع المحلة وسطها وجامع تلك على الشط لطيف وهذه أعمر وبها سوق زيت حسن والناس يذهبون ويحيثون في الزوارق شبهتها بواسطة دميرة أيضا على الشط طويلة عامرة بها بطيخ نادر

الاسكندرية قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين شر بهم من النيل يدخل عليهم أيام زيادته في قناة فيملا صهار مجهم وهي شامية الهواء والرسوم كثيرة الامطار جامعة الاصداد جليلة الرستاق جيدة القواكه والاعناب طيبة نظيفة بناؤهم من الحجارة البحرية معدن الرخام وبها جامعان وعلى جبابهم أبواب تغلق بالليل كيلا يصعد منها اللصوص وسائر المدن

عامرات طيبات وفي نواحيها خرنوب وزيتون ولوز ومزارع على البعل ونم يصب النيل في بحر الروم وهي مدينة ذى القرنين ولها قصة عجيبة

الفسطاط هو مصر في كل قول لانه قد جمع الدواوين وحوى أمير المؤمنين وفصل بين المغرب وديار العرب واتسع بقعته . وكثر ناسه . وتنظر اقليمه واشتهر اسمه . وجل قدره . فهو مصر مصر . وناسخ بغداد . ومنخر الاسلام ومتجر الانام وأجل من مدينة السلام . خزنة المغرب . ومطرح المشرق . وعامر الموسم ليس في الامصار أهل منه . كثير الاجالة والمشايخ . تنجيب المتاجر والخصائص . حسن الاسواق والمعايش الى حماماته المنتهى . ولقياسه لبقاة وبها . ليس في الاسلام أكبر مجالس من جامعته ولا أحسن نجوما من أهله ولا أكثر مراكب من ساحله . أهل من نيسابور . وأجل من البصرة . وأكبر من دمشق . به أطعمة لطيفة . وادامات نظيفة . وحلاوات رخيصة كثير الموز والرطب . غزير البقول والحب . خفيف الماء . صحيح الهواء . معدن العلماء . طيب الشتاء . أهله أهل سلامة وعافية . ومعروف كثير وصدقة . نعمتهم بالقرآن حسنة ورغبتهم في الخير بيعة . وحسن عبادتهم في الاتفاق معروفة . قد استراحوا من أذى الامطار . وأمنوا من غابة الاشرار . يتفقدون الخطيب والامام . ولا يقدمون الاطيا وان بذلوا الاموال قاضيههم أبدا خطير والغائب كالأمير ولا يتفكون أبدا من نظر السلطان والوزير ولولا عيوب له كثير ما كان له في العالم من نظير . وهونحو ثلثي فرسخ طبقات بعضها فوق بعض

وكانت جانبين الفسطاط والجيزة ثم شق بعض الخلفاء من ولد العباس خليجا على قطعة منها فسميت تلك القطعة الجزيرة لانها بين العمود والخليج وسمى خليج أمير المؤمنين منه شربهم ودورهم أربع طبقات وخمس كلمناير يدخل اليهم الضياء من الوسط وسمعت انه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس وانما صار اليها الحسن بن أحمد القرمطي خرج الناس اليه فراهم مثل الجراد فماله ذلك وقال ما هذا قيل هؤلاء نظارة مصر ومن لم يخرج أكثر . وكنت يوما أمشي على الساحل واتعجب من كثرة المراكب الراسية والسائرة فقال لي رجل منهم : من أين أنت قلت : من بيت المقدس قال : بلد كبير اعلمك ياسيدي أعزك الله ان على هذا الساحل وما قد أفلح منه الى البلدان والقرى من المراكب مالو ذهبت الى بلدك لحملت أهلها وآلاتها وحجارتها وخشبها حتى يقال كان ههنا مدينة . وسمعتهم يذكرون انه يصلى قدام الامام يوم الجمعة نحو عشرة آلاف رجل فلم أصدق حتى خرجت مع المتسعة الى سوق الطير فرأيت

الامر قريبا مما قالوا

وأبطأت يوما عن السعي الى الجمعة فالتفت الصفوف في الاسواق على أكثر من ألف ذراع من الجامع ورأيت القياسير والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب من المصلين وهذا الجامع يسمى السفلافي من عمل عمرو بن العاص وفيه منبره حسن البناء في حيطانه شيء من التفسير على أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق والاندحام فيه أكثر من الجوامع الستة قد التفت عليه الاسواق الا ان بينها وبينه من نحو القبلة دار الشط وخزائن وميضأة وهو أعمر موضع بمصر وزقاق القناديل عن يساره وما يدريك مازقاق القناديل والجامع القوقاني من بناء بني طيبلون أكبر وأبهى من السفلافي على أساطين واسعة مصهرجة وسقوفه عالية في وسطه قبة على عمل قبة زمزم فيها سقاية مشرف على فم الخليج وغيره وله زيادات وخزانة دار حسنة ومنارته من حجر صغيرة درجها من خارج والحد بين أسفل وفوق مسجد عبد الله قد بني من مساحة الكعبة

و يطول الوصف بنعت أسواقه وجلالته غير انه أجل أمصار المسلمين وأكبر مفاخرهم وأهل بلدانهم ومع هذه الكثرة اشترت به الجز الحواري ولا يخزون غيره ثلاثين رطلا بدرهم والبيض ثمانية بدانق والموز والرطب رخيص يجيء أبداً اليه غرات الشام والمغرب وتسير الرقاق اليه من العراق والمشرق ويقطع اليه مراكب الجزيرة والروم تجارته عجيبة ومعايشه مفيدة وأمواله كثيرة لا ترى أحلى من مائه ولا أوطأ من أهله ولا أحسن من زده ولا أبرك من نهريه الا انه ضيق المنازل كثير البراغيث غفن كرب البيوت قليل القواكه مياه كدرة وآبار وضرة ودور قدرة وبق منسق وجرب مزمن ولحوم غريزة وكلاب كثيرة وعين قطيعة ورسوم وحشة ابداً على خوف من القحط وانقطاع النهر واشراف على الجلاء وتر بص بالبلاد لا يتورع مشايخهم عن شرب الخمر ولا نسأؤهم عن الفجور للمرأة زوجان وتزوي الشيخ سكران وفي المذهب حزبان مع سمرة وقبح لسان

والجزيرة خفيفة الادل الجامع والمقياس على طرفها عند الجسر مما يلي مصر وبها بساكن ونخل ومنزلة أمير المؤمنين عند الخليج بموضع يسمى المختارة والجزيرة مدينة خلف العمود كانت الطريق اليها من الجزيرة على جسر الى ان قطعه الفاطمي بها جامع وهي أعمر وأكبر من الجزيرة والحادة منها الى المغرب وبلغ الخليج العمود تحتم الجزيرة عند المختارة

والقاهرة مدينة بنسأها جـوهر الفاطمي لما فتـح مصر وقهر من فيها
كبيرة حسنة بها جامع بهي وقصر السلطان وسطها محصنة بابواب ممددة على جادة
الشام ولا يمكن أحد دخول الفسطاط الا منها لانها بين الجبل والنهر ومصلى العيد
من ورائها والمقابر بين مصر والجبل والعزبية قد اختلت وخربت عامتها وكانت
المصر في القديم وبها كان ينزل فرعون وثم قصره ومسجد يعقوب ويوسف وعين
شمس مدينة على جادة الشام كثيرة المزارع بها مسد النيل أيام زيادته جامعهم في السوق
والمحلة مدينة على نهر الاسكندرية بها جامع لطيف وليس بها كثير أسواق غيرها
عامرة نزيهة الشط حسنة النهر يقابلها صندقا به جامع عامر شبهتها بواسط الا انه
ليس بينهما جسر يعبرون في المراكب وحلوان مدينة من نحو الصعيد ذات
مغابر ومقاطع وعجائب بها حمام من فوق حمام آخر وسائر المدن على عمود النيل
وخارجة

وأسوان قسبة الصعيد على النيل عامرة كبيرة بهامارة طويلة ولها نخيل وكروم
كثيرة وخيرات ونجارات وهي من الامهات واخيم مدينة كثيرة النخيل على بعض
شعب النيل ذات كروم ومزارع منها كان ذوالنون الزاهد وهذه الكورة أعلى
أرض مصر وفيها يخرج النيل والقيوم جليل به مزارع الارز الفائق والسكتان
الدون ولها قرى سرية تسمى الجوهريات والعلاقي مدينة في آخر الكورة على
طريق عيذاب واما الواحات فانها كانت كورة جلييلة ذات أشجار ومزارع والى
اليوم يوجد فيها صنوف الثمار وأغنام وانعم قد توحشت متصلة بأرض السودان تـس
طرف اقليم المغرب وبعض يجعلونها منه

تليس بين بحر الروم والنيل بحيرة فيها جزيرة صغيرة قد بنيت كلها مدينة وأى
مدينة هي بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب أسواق ظريفة وأسالك
رخيصة وبلدة مقصودة ونم ظاهرة وساحل نزيه وجامع نفيس وقصور شاهقة
ومدينة مفيدة رفة الا انها في جزيرة ضيقة والبحر عليها كلفة ملولة قدرة
والماء في صهاريج مغلقة أكثر أهلها قبط والبلاذات تطرح الى الطرق وبها يعمل
التياب والاردية المونة ونم موضع قد تضمد فيه موفى الكفار بعض على بعض ومقابر
المسلمين وسط البلد .

دمياط تسير في هذه البحيرة يوما وليسلة ربما لفيك ماء حلو وأزقة ضيقة
الى مدينة أخرى وهي أطيب وأرحب وأوسع وأفسح . وأحزب وأكثروا كه

وأحسن بناء وأوسع ماء . وأحذق صناعا . وأرفع بناء وأنظف عمالا . وأجود حمامات . وأوثق جدران . وأقل أذيات . من تنيس عليها حصن من الحجارة كثيرة الابواب وفيها باطات كثيرة خربت ولهم موسم كل سنة يقصدها المراكبون من كل جانب وبحر الروم منها على صيحة دور القبط على ساحله وتم بفيض النيل في البحر . وشطا قرية بين المدينتين على البحيرة يسكنها القبط واليها ينسب هذا البر وطحا قرية بالصعيد يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة ومنها كان الفقيه الامام أبو جعفر الأزدي ويصنع بيتهنسة السطور والانماط والسكتان الرفيع مزارعه ببوصير

جل شؤون هذا الاقليم

هذا اقليم اذا أقبل فلا تسأل عن خصه ورخصه واذا أجذب فنعوذ بالله من قحطه بعد سبع سنين حتى يأكلون السكالب ويقع فيهم الوباء المبرح أشد حرا من سواحل الشام ويرد في طوبه برداً شديداً به نخيل كثيرة وعامة ذمته نصارى يقال لهم القبط وبهود قليل . كثير المجذمين وبيت الجرب لانه سفن وأكثر آدمهم السمك . وعلى مذاهب أهل الشام غير ان أكثر فئاتهم مالكيون الا ترى انهم يصلون قدام الامام ويربون السكالب

وأعلى القصبة وأهل صندقا شيعة وسائر المذاهب بالفسطاط موجودة ظاهرة وتم محلة السكرامية وجبلية للمعتزلة والحنبلية والفتيا اليوم على مذاهب الفاطمي التي نذكرها في اقليم المغرب . والقراآت السبع فيه مستعملة غير ان قراءة ابن عامر أقلها ولما قرأت بها على أبي الطيب بن غلبون قال دعه هذه القراءة فانها عتيقة قلت : قيل لنا عليكم بالعتيق قال : فعليك بها . قرأت عليه لابي عمرو فكان يا مرنى بتعظيم الرأى من مريم والتورية والغالب عليهم والمختار عندهم قراءة نافع وسمعت شيخا في الجامع السفلاي يقول : ما قدم في هذا الحراب امام قط الا وهو يتفقه لمالك وقرأ لنا نافع غير هذا يعني ابن الحياط قلت : ولم ذلك قال لم نجد أطيب منه وكان شفعوا يا أبو عمرو يا ولم أر في الاسلام أحسن نعمة منه لغتهم عربية غير انها ركيكة رخوة وذمتهم يتحدنون بالقبطية وهو بلد التجارات يرتفع منه أديم جيد صبور على الماء نخيل لين والبطائن الحر والهملختات والمثلث هذا من مصر ومن الصعيد الارز والصوف والتمور والخل والزبيب ومن تنيس لا دمياط الثياب الملونة ومن دمياط القصب

ومن القيوم الارز وكتان دون ومن بوصير قر يدس السكتان الرفيع ومن القرم
الحيتان ومن مدنها الففاف والحبال من الليف في غاية الجودة ولهم القباطى والارز
والخبز والبقادانى والحصر والحبوب والحبان ودهن النجل والزبد وغير ذلك
الخصائص . ولا نظير لاقلامهم وزاجهم ورخامهم وخلهم وصوفهم وخيشهم
وبزهم وكتانهم وجلودهم وحذوهم وهماختانهم ولينهم ووزهم وموزهم وشمعهم وقندم
ودقهم وصبيغهم ور يشهم وغزلهم واشنانهم وهر يستهم ويندتهم وحمصهم وترمسهم
وقرطهم وقلفاسهم وحصرهم وجرهم وقرم وحزمهم ومزارعهم ونهرهم وتعبسهم
وحسن نغمتهم وعمارة جامهم وحلوهم وحبسهم وحيتانهم ومعاشهم وتجاراتهم
وصدقاتهم كل ذلك في غاية الجودة

وقد اجتمع بها من خصائص فلسطين القفاش وهوشى على قدر النجل المدور عليه
قشر وفيه حدة يقلى بالزيت ويطرح فى السكاج والموز وهو على مقدار الخيار عليه
مزود رقيق يقشر عنه ثم يؤكل له حللاوة وغفوصة والجوز وهو أصفر من التين
له ذنب طويل والترمس وهو على قدر الظفر يابس مر يجلى وبلج والبق وهو على
قدر الزعرور فيه نواة كبيرة حلو وهو ثمرة شجرة السدر ويزيدون عليهم بالبنيدة وهى
السموا غير انه عجيبي الصنعة يسقط على القصب حتى يحف و يتعلك ودهن
اللسان من نبت ثم

والنفود القديمة المثقال والدرهم ولهم المربعة محسون بدينار ويكثرون التعامل
بالراضى وقد غر الفاطمى النفود الهازين وأبطل القطع والمناقيل والمسكايل الوية
وهى خمسة عشر منا والاردب ست ويات والنليس ثمان وهى بطلالة والرسوم
بحوامع هذا الاقليم اذا سلم الامام كل يوم صلاة الغداة وضع بين يديه مصحفا يقرأ
فيه جزعا ويجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكرين ولهم آذان يتفردون به على
طريق النياحة ثلث الليل الاخير وله قصة بأثرونها وبين العشائين جامهم مفتص
يخلق الفقهاء دائمة الفراء وأهل الأدب والحكمة ودخلتها مع جماعة من المفادسة فرما
جلستنا تحدث فسمع النداء من الوجهين دوروا وجوهكم الى المجلس فننظر فاذا
نحن بين مجلسين على هذا جميع المساجد وعددت فيه مائة وعشرة مجالس فاذا صلوا
العشاء أقام البعض الى ثلث وأكثر سوقهم اذا رجعوا من الجامع ولا ترى أجلا من
مجالس الفراء به و به مجلس للمتلعبين ولهم اجراء و بضر بون على جوامعهم شراعات
وقت الخطبة مثل البصرة ويخلو أسواقهم أيام الجمع

قل ما يلبسون نوبا غسिला او تعلقا قد امتعظت ولا يكثرون أكل اللحم ويكثرون
 الاشارة في الصلاة والنخ والمخاط في المساجد ويجعلونه تحت الحصر ويحجرون
 في الرساتيق وقت اليبادر ما يكفهم الى عام قابل ثم يبدسونه ويخبؤنه ولهم باذهنجات
 مثل أهل الشام أهل تحمل وترو وتعلق بينهم الكبرى ورأس الله والصغرى وحق على
 يحبون روؤس السمك ويقال انهم اذا رأوا شاميا قد اشترى سمكا اتبعوه فاذا رمى
 روؤسها أخذوها يكثرون أكل الدليس أقذر شئ حيوان بين زلفتين صابرين يلقان
 ويحصى مثل المخاط

ومن عيو بهم ضعف قلوبهم وقلة شمارهم وأهل الشام ابداء عيونهم ويسخرون
 منهم ويقولون مطر أهل مصر الندى وطيرهم الحدا وكلامهم سيدى رخو مثل النساء
 أعزك الله مالك كذا أكلهم الدليس وتقلهم الحص وجبنهم الخالوم وحلوهم النيد
 وقطاعهم الخنازير وعينهم كفر

وأما النيل فلم أذق ولا سمعت ان في جميع الدنيا ماء ألى منه الأنهر المنصورة
 وزادته من شهر بؤنة الى شهر نوت وقت عيد الصليب ولها سدان أحدهما بين
 شمس ترعة تسد بالخفاء والتراب قبل زباده فاذا أقبل الماء رده السد وعلا الماء
 على الجرف أعلى القصبة فيسقى تلك الضياع مثل بهيت والمنتين وشبرو ودمهور
 وهوسد خليج أمير المؤمنين فاذا كان يوم عيد الصليب وقت انتهاء حلاوة العنب
 خرج السلطان الى عين شمس قامر بفتح هذه الترعة وقد سد أهل الجرف أفوا
 أنهارهم حتى لا يخرج الماء منها وجعلوا عليها الحراس فينحدر الماء الى ضياع الريف
 كلها والترعة الاخرى أسفل من هذه وأعظم غير ان السلطان لا يحضرها وبين
 ففتحها النقصان في النيل وهي بسر دوس والمقياس بركة وسطحها عمود طويل فيه
 علامات الأذرع والأصابع وعليه كبيل وأبواب محكمة يرفع الى السلطان في
 كل يوم مقدار ما زاد ثم ينادى المتادى زاد الله اليوم في النيل المبارك كذا وكذا وكانت
 زيادته عام الاول في هذا اليوم كذا وكذا وعلى الله التمام ولا ينادى عليه الا بعد ان
 يبلغ اثني عشر ذراعا الا ما يرفع الى السلطان حسب والاثناعشر ما يبع ضياع الريف
 فاذا بلغ أربعة عشر سقى أسفل الاقليم فاذا بلغ ستة عشر استبشر الناس وكانت سنة
 مقبلة فان جاوزها كان خصب وسعة فاذا انضب الماء أخذوا في الحرث والبذر
 وفي ايام زيادته تبجر مصر حتى لا يمكن الذهاب من هذه الضيعة الى الاخرى الا في
 الزوارق في بعض المواضع

الفسطاط جبل فيه معدن الذهب ولهم معدن زاج الحبر لا ترى مثله وطين يسمى الطفل وفي المقطم مناطق حجارة بيض حسنة تنشر كما ينشر الخشب . ثم ذكر مشاهد مصر مع الاحتراز من الخرافات الشائعة بشأنها في الجملة قال وعلى صيحة من الفسطاط موضع يسمى الغرافة فيه مسجد وسقايات حسنة وخلق من العباد وموضع خلوة وسوق لطلاب الآخرة وجامع حسن ومقابرهم في غاية الحسن والعمارة ترى البلد غرام والمقابر بيضا ممتدة على طول المصر فيها قبر الشافعي وذكر بعض عجائب مصر مثل هرمي الجيزة وقال انها مابراترى الى ملوك الديلم بالرى كيف اتخذوا على قبورهم قبابا عالية واحكموها جهدهم وعلوها طاقفهم كيلا تدرس وذكر منارنى عين شمس أو مسلتها ومقابر حلوان وبراى الصعيد ومنازة الاسكندرية وعدد الشهور القبطية وقال ان طول مصر من بحر الروم الى النوبة أقل من شهر وعرضه من الجنوبى لى مراحل ومن الشمالى اثنا عشرة وللدخلة نهر عند بحر القلزم أربع مراحل وأما الولايات فللاطامى وهم فى عدل وأمن لانه سلطان قوى غنى والرعية فى راحة وتم سياسة وفادأمر وكل سامع مطيع من الاركان سرا وعلائية لا يخطب الا لامير المؤمنين حسب . ثم ذكر خراج مصر نقلا عن قدامة ابن جعفر وابن الفقيه الى ان قال :

وسألت بعض المصريين ببخارا عن الخراج فقال ليس على مصر خراج ولكن يبعد الفلاح الى الارض فيأخذها من السلطان ويزرعها فاذا حصص ودرس وجمع وسمت بالمرام وتركتم يخرج الخازن وأمين السلطان فيقطعون كرى الارض ويطي مابقى للفلاح قال وفيهم من يأخذ من السلطان تقوية فيزد عليه فى كرى الارض بتقدير ما اقتطعه قات فلا يكون لاحد ثم ملك وضيعة قل لا اللهم الا ان يكون رجل قد اشترى ممن اقتطعه السلطان فى القديم ووهبها فاحتاج هو او ذريته الى ثمنها فباعها لعامة الناس

وقال : وأما الضرائب فتفيلة بخاصة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل وأما اثياب الشطوبية فلا يمكن القبطى ان يتسبح (لعله يتشج) شيئا منها الا بعد ما يختم عليها بختم السلطان ولا ان تباع الا على يد سماسة قد عقدت عليهم وصاحب السلطان يثبت مايباع فى جريدته ثم تحمل الى من يطوها ثم الى من يشدها بالفس ثم الى من يشدها فى السقط والى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه ثم على باب القرصة يؤخذ أيضا شئ وكل واحد يكتب على السقط علامة ثم تفتش

المراكب عند اقلاعها ويؤخذ بنيس على زق الزيت دينار ومثل هذا واشباهه ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب فقال رأيت بساحل نيس ضرائباً جالساً قيل قبالة هذا الموضع في كل يوم الف دينار ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الاسكندرية وبلا سكندرية أيضاً على مراكب الغرب وبالقرما على مراكب الشام ويؤخذ بالفلزم من كل حمل درهم

وهنا ذكر المسافات بين بلاد الاقاليم بحساب المراحل وكل ذلك مشبع بالفوائد العمرانية التي لا تكاد تراها في الكتب الاخرى الملمة بذكر البلاد الاسلامية ولا بأس بان نختم هذا الفصل بنموذج آخر من كتاب المقدسي في ذكر مملكة الاسلام قال :

اعلم ان مملكة الاسلام حرسها الله تعالى ليست بمستوية فيمكن ان توصف بتربع أو طول وعرض وانما هي متشعبة بعرف ذلك من تأمل مطالع الشمس ومغارها ودوخ البلدان وعرف الممالك ومسح الاقاليم بالفراسخ وسنجهتد في قريب الوصف وتصويره لذوى العقول والافهام ان شاء الله تعالى الشمس تغرب في حافة بلد المغرب ويرونها تنزل في البحر المحيط وكذلك أهل الشام يرونها تغيب الى بحر الروم واقليم مصر ياخذ من البحر الرومي طولاً الى بلد النوبة ويقع بين بحر الفلزم ونحوم المغرب ويمتد المغرب من نحوم مصر الى البحر المحيط مثل الشريطة بضغطة من قبل الشمال بحر الروم ومن قبل الجنوب بلدان السودان وبعداقليم الشام من نحوم مصر نحو الشمال الى بلد الروم فيقع بين بحر الروم وبادية العرب وتتصل البادية وبعض الشام بجزيرة العرب ويدور على الجزيرة بحر الصين الى عبادان من ارض مصر ويتصل ارض العراق بالبادية وبعض الجزيرة ويتصل بنحوم العراق الشمالية اقليم أقور فيمتد الى بلاد الروم وقد نفوس عليه الفرات من نحو الغرب ووقع خلف الفرات بقية البادية وطرف من الشام فهذه اقاليم العرب ووقعت خوزستان والجلال على نحوم العراق الشرقية وطائفة من الجبال واقليم الرحاب على نحوم أقور الشرقية ووقعت فارس وكرمان والسند خاف خوزستان على صف واحد البحر جنوبيها والمقاظة وخراسان شمالها وتاخمت السند وخراسان من قبل الشرق بلدان السكفر وتاخمت الرحاب بلد الروم من قبل الغرب والشمال ووقع اقليم الديلم بين الرحاب والجبال والمقاظة وخراسان فهذه مملكة الاسلام فتدبرها وفيها تقتل وتخرج لمن شقها من شرقها الى غربها الا ترى انك اذا اخذت

من البحر المحيط الى مصر كنت على الاستواء ثم سيرا الى العراق ثم تنقلت في أقاليم الاعداجم وخراسان مائلة الى جهة الشمال أولا نرى ان الشمس تطلع عن يمين بخارا من نحو اسبيجاب .

وأما مساحتها على الوصف الذي شرحناه فانك تأخذ من البحر المحيط الى الفيروان مائة وعشرين مرحلة ثم الى النيل ستين مرحلة ثم الى دجلة خمسين مرحلة ثم الى جيحون ستين مرحلة ثم الى نونكت خمسة عشر يوما ثم الى طراز خمسة عشر يوما وان عطفت الى فرغانة فن جيحون الى أوز كنت ثلاثون مرحلة وان عطفت الى كاشغر فاربعين مرحلة . ووجه آخر تأخذ من سواحل اليمن الى البصرة خمسين يوما ثم الى اصفهان مائة فرسخ وثمانية وثلاثين ثم الى نيسابور ثلاثين مرحلة ثم الى جيحون عشرين مرحلة ثم الى طراز ثلاثين مرحلة وهذا على الاستواء ويسقط اقليم مصر والمغرب والشام . وأما العرض فختلف جدا لأن اقليم المغرب قليل العرض وكذلك مصر ثم اذا حاذيت الشام اتسعت المملكة ثم لانزال تنسع حتى تصير وراء جيحون الى بلد السند نحو ثلاثة أشهر وأما أبو زيد فجعل العرض من ملطية مارا على الجزيرة والعراق وقارس وكرمان الى أرض المنتصورة ولم يذكر المراحل الا انها تكون نحو أربعة أشهر غير عشرة أيام والذي ذكرنا بين وأقن فن أقصى المشرق بكاشغر الى السوس الاقصى نحو عشرة أشهر .

قدر للخليفة سنة ٢٣٢ مايرتفع من الخراج والصدقات سوى الحمايات والجبايات من جميع المملكة فبلغ الى ألف وثلاثمائة ألف وعشرين ألفا ومائتين وأربعة وستين دينارا ونصفا قال وحسب خراج الروم للمعتصم فبلغ خمسمائة قنطار وكذا قنطارا فاذا به أقل من ثلاثة آلاف ألف دينار فككتب الى ملك الروم ان أخس ناحية عليها أخس عبيدى خراجها أكثر من خراج أرضك . وطول المملكة على ماقدما ألفان وستمائة فرسخ كل مائة فرسخ ألف ومائتا ألف ذراع فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربعة وعشرون اصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة طولا بعضها الى بعض والميل ثلث الفرسخ وفي البريد خلاف بالبادية والعراق اثنا عشر ميلا وبالشام وخراسان ستة الا ترى كيف بنى بخراسان على كل فرسخين رباط ورتب فيه أصحاب البريد فبهذا تأخذاه .

ولا يسع المصنف بعد تلاوة هذه النمودجات من المصنف العلامة الا ان يحذف علماء العرب فيما دونوه بحسب ما انتهى اليه ارتقاء العلم في عصورهم واذا

وقع لهم ما يؤخذ اليوم عليهم وهو قليل جدا بحسب ما ادانا اليه البحث والتنقيب فان هذا لا يندح في أسفارهم ولا يحول بيننا وبين احيائها وتدارسها على علانها خلافا لما يتبجح به المنتطعون من المنفرحين منا ممن لم يسعدهم الحظ ان يدرسوا كتابا عربيا وغاية علمهم انهم قرأوا مبادئ العلوم باللغات الافريقية وجمدوا عليها جهود بعض الفقهاء على ما قاله المتأخرون منهم وترك الرجوع الى الاصل الصحيح من كتب السنة بدعوى ان المتأخرين حرروا كل شيء فلم يبق بنا حاجة الى الاخذ عن قبلهم

اللغة الانتقادية

رأينا في اللغة مجلدا شاذ الطرفين قدم الخط والورق صغير الحجم والقطع غير ان اسلوبه وصحة عبارته ورصفها تقتضى قدم تأليفه كما ان ترسل المؤلف وفور مادته وسعة اطلاعه حتى اننا لم نعرف فيما قرأنا منه على قل أو تعويل الا نادرا نوجب ان يكون أحداثا للسان ولعل أديبا من صرعى الكتب والآثار بطلع على ما نشره منه فيطلعنا على مصنف الكتاب وعلى حقيقة الكتاب هذا وفي الموجود من أول المجلد كلام على المترادفات ثم أبواب في مباحث لغوية مفيدة مرتبة على زئات الاسماء والافعال وفيه فصول مختلفة متممة والذي بهما مباحثه الانتقادية فقد جاء فيها ما نصه

باب ماهو مكسور الاول مما فتحته العامة أو ضمته

فما فتحته الصنارة والجنابة والرطل للمكيال والجص والرخو والامد وضربت علاوته أى رأسه وأيضا معلق على البعر والجمع العلاوى وعلاوة الربيع وسفالها بالضم واستعمل فلان على الشام وما أخذ أخذه وأخذت باخذنا أى بخلافنا والجراب والاهليجة واللثة وقلان ينزل العلو والسفل والطنفسة والدهليز وشاعرت المرأة تمت معها في شعار وشعار القوم في الحرب والزيق والديرياق والسواك والوشاح والديوان والديباج وجمام القرح وأما الجمام (بالضم) ففى الدقيق ونحوه وفصح النصرارى اذا افطر واواكلوا اللحم والمرفق مرقق اليد وما يرتفق به وانقضة الجدوى وقيل منقضة وأنت على رياس أمرك ورياس السيف منقضة والعامة تقول رأس أمرك

ومما تقوله العامة بالضم ص وان الثوب لما يصاب به ودابة بها قاص وتمرشهر برز
وكسرى ومما الفتح فيه لغة الرطل للمكيال والمسترخى من الرجال والبزر وبوم
الاربعا وأما جرو السكب والاصبع فبالسكر والضم والفتح

باب ما يتكلم فيه بالصاد مما تتكلم العامة فيه بالسین وبالعكس
نبيذ أولبن قارص بقرص اللسان وبوم قارس والبرد قارس وسمك قريس
وليلة ذات قرس ولا تفل بالصاد

بخصت عينيه وبخست حقه وبصق بصاقه ويزق ولا تفل بسق وبسق النخل
طال وبسق فلان في علمه علا ويقال لحجر يتألق (بصاقه الفعر) فص الشاة
والفس تتبع البائم وقد أفرصك الامر واصل الفرصة ان يتقارص القوم الماء القليل
فيكون لهذا نوبة ولذلك نوبة فيقال جاءت قرصتك أى وقت استقائك قبرة قهره
وقصره حبسه وامرأة قصيرة ومقصورة أى محبوسة دابة شמוש أى بينة الشمس
عند الاسراج أو المشى والصندوق وصنجة الميزان ولا تفل سنجة والرساخ جبل
يشد في رسغ البعير ينمعه من الابعات والهاخ ولا تفل السماخ واصاخ الى الشيء
استمع وتقصصت اثره وتقصست صوته بالليل واخذته حصر احتبس بطنه وأسر
احتبس بوله

باب ما يغلط فيه العامة فيتكلم بالياء وانما هو بالواو
جفوت الرجل فهو محفوف ولا تفل جفيته وأما قول الشاعر

فليس بالجافى ولا المجفى

فبنى على جفى حنوت عليه وحنيت وامرأة حانية أقامت على وادها فلم تزوج
وحنيت العرد والظهر وحنوتها هجوته فهو مهجو ولا تفل هجبت/ فلول المهر
وافلتيته فصلته عن أمه غذوبه غذاء حسنا عروته ايتته فهو معرو وعزوته الى أبيه
اسبته وعزيتيه لغة واعريت الى أبى وقروت الارض قروا تتبعنها وقريت
الضيف أقر به قرى وقرا غلوت في الفول غلوا وغليت عليه من شدة الغيظ أغلى
غليا وغليا اخلوت به اخلوخلوة وخليت دابتي خليا جززت لها ومنه الخلى لما يختل به
قات خليت دابتي أى جززت لها الخلى وهو الاخضر أو الرطب من النبات
يقال اخلت الارض أى كثر خلاها والواحدة خلا

عنوت أى خضعت وعنوت فى بنى فلان صرت فهم عانيا أى أسيرا وعنوت
الارض بالنبات تعنوتوا ظهر نباتها وأعناه المطر وعنيت فلانا بكلامى حزا السراب
الشخص يحزوه حزوا رفعه وحزى فلان الشيء يحز به حز يا خرصه وتقول كم تحزى
هذا النحل عنوت يافلان تعنوتوا ولا تقل عنيت وجسوت الصفر وجسوت عن
البلد اجلو جللاه وعفوت عنه عفوا وبينهما بون بعيد أى تفاوت، وما أحوله إذا كان
محتالا وقد تحول أى احتال ورجل حول وما أحيله لغة وهى الحول والحيل
أبوت الرجل أبوه صرت له أبا وماله أب يابوه وأبيت الشيء أباه أباء وسروت
الثوب عنى أسروه سروه وسريت بالليل وأسريت

ما جاء على فعلت مما تكسره العامة أو تضمه

عسبت ودمعت عبنى وعطس وشعل وسبح ولمح ونكل وكلت من الاعياء
وكفل به وجهه ووجد وعتب وحرص ولعب سال لعلابه ونحل جسمه ونحلت فلانا
أعطيته ونحلت القول تحلة ولعب وغنت نفسه وغنا السيل وغلت القدر وولغ
الكلب ولط من الاعياء وذوى العود وذبل وجهه الماء وخمدت النار تخمد وعمد
وقصد وعجز عن الامر وعجزت المرأة كبرت عجيزتها وعجزت (مضعفا) صارت عجوزا
وهدت النار وهدم الثوب بلى وغوى الرجل جهل وغوى القصيل لم يرنو من لسان أمه
ثم لا يروى من اللبن حتى يموت هزالا واما زعف وصلح وفسد فالضم فى ثلثتها لغة

باب ما يتكلم فيه بفعلت مما تعلق فيه فتقول افعلت

نعمت الرجل رفعته ومنه نعمش الميت ونجى فى الرجل الدواء وفى الدابة العلف
ونبتت التبن والشئ من بدى وشغلته وسعرهم شرا وجمت الشحم واجتمعت أذنته
وهزأت دابتي وفى المنطق هزلا ووقفته على كذا ودابتي وبشئ على ولدى وجنبت
الريح وشملت ودبرت وأجنبنا واشمنا وأدبرنا دخلنا وجنبنا وشملنا أصابتنا
وبرق ورعد السماء والرجل يهدد وحكى أرعد وعدته خيرا وشرا فان اسقطوا الحجر
والشر قيل فى الشر أوعدته وكذلك إذا ذكروا الباء معه قالوا وعدته بشر وكبه الله
لوجهه وعلقت الدابة أورسنتها وخششت للبعير وعظمت فلانا وحملت المريض

باب ما يتكلم فيه بافعلت مما تكلم العامة فيه بفعلت

أدبته أعتته واستأدبت الامر عليه أنيته أعطيته وأنيته قصده أبدرنا طلع علينا

البدر و بدرنا الى كذا أربت الناقة جمعات لها برة و برتها حمرتها و أسست بالغنم للماء
و بالابل للخلب صموت بها و ناقة بسوس تدر بالأساس و بس السويق لته بالسمن
بشرت الارض عند نبتها و ما أحسن بشرتها و بشرت الاديم قشرت باطنه أبعته
اعرضته للبيع و بعته من فلان أبغيته أعتته على الطلب و بغيته طلبته أبل الرمث
فهو باقل و اقل و جهه خرج شعره و ناب البعير طلع أرب استغنى و ترب افتقر أنلد
في أرض كذا أقام و نلد قدم اتبع الفوم اذا سبتوك فلهقتهم و اتبعتهم و تبعهم مرواك
قضيت معهم أنرى بنو فلان كثر ما لهم و الارض كثر راها و نرى بثرى فرح و زروناهم
كثروناهم أنلث كذا أصلحته و ثلث البيت هدمته و منه نل عرشه أى ذهب عزه
أجبرته على الامر أكرهته و جبرت الفقير أعطيته و المعظم خير أى انجبر أوجد قل
خير و وجد أنكر أجرب فلان جر بت ايله جر با أجرت الفصيل شقت لسانه
بخلخل يتمتع عن الرضاع و فلانا الرمح طعنته فتركته فيه بجره و الفرس رسنه و جر
الحبل و جريه جنايه أجز النخل حان ان يجر و جززت النعجة و الكبش و حلفت
التيس و العز و لا يقال فيها جززت أجم الامردنا و جم الماء و جوما اجتمع فى البئر
و الفرس بجماما ترك أياما من الركوب و أجرم جريمة جنى جناية و جرم الصوف جزه
و النخل صرمه و نخل جريم أجززت الفوم أعطيتهم جزرة يذبحونها أى شاة سمينة
و الجميع جزر و جززت الحزور نحررتها و جزر الماء قل أجاب قتبه جعل عليه جلدة
رطبة ثم تركها حتى يبس و جلب على فرسه جلبا صاح أجمع أمره عزم عليه و جمعت
الشيء جمعا و جمعت المرأة لبست الخمار و الدرع و المملخفة معا أجمال الحساب و فى
صنيعه اجمالا و جمال الشحم و اجتمله اذابه و الجميل المذاب منه أجنى الثمر أدرك
و جنيته جنى أجنبته بكذا اجابة و جابة و جبت الصخرة خرقتها أحدثت السكين
و حدثت حده عضبت و حدث المرأة و احدث تركت نازبة أحر جلده ترك حبارا
و حبرا ترك أنرا و حبره سره و الحبرة و الحبر المرور احتبست فرسى فى سبيل الله
و أحتبسته فهو محتبس و حبست فلانا فى الحبس أحتجل بعيره أطلق يده اليمنى و قيد
اليسرى و حجل الغراب أحتجم عن الامر كف و حجم الحاجم فلانا و الصبي ندى
أمه و فلان جملة جعل له حجابا ثلثا بعض و بعير محجوم أجنبته أعطيته و حذونه
جلست بحذائه و حذوت النعل بالعمل و حذت الشفرة يده قطعتها و التبيذ يحذى
اللسان أحسبته أكثرت له حتى قال حسب و حسب الحساب حسابا و حسبانا

وحسية أحمده ووجدته مجوداً أحصره منه من سحر أو حاجة وحصره العدو ضيق
 عليه والحصير المحتبس ورجل حصير وحصور لا يخرج من ثمن الثمرات ما يخرج
 أنحابه أحميت المعمار وحيت المسكان أحمات البئر القيب فيها الحماة وحماتها نزع
 منها الحماة وأحال حالت ابله فهي حبال والماء صبه وبالدين على فلان وحال انقاب
 عن العهد والقوس انقلبت عن العطف والحول يقال فيه حال وأحال اخطبك الصيد
 أى أمكنك أخطب الحنظل صار خطباً وذلك اذا صار فيه خطوط خضر وخطب
 في السكاح خطبة وعلى المنابر خطبة أخطى فلان لم ينعنم والنجم نولى للمغيب وخفق
 الطائر بجناحه خففا وخففا والفاة خففا والريح خففا وخفقه بالسيف وأخفقه
 ضرب به أخفقت النجوم اذا لم يكن فيها مطر والرجل في مياده وأخلف الله عليك يقال
 لمن ذهب ماله وخلف الله عليك فيمن مات له ميت وخلف فلان فلان صار له خليفة
 وجاء بعده وفوه خلوفاً تغير والثى فدر أخليت المسكان أصبته خالياً أخذ بالمسكان
 أقامه ورجل غلد أسن ولم يشب وخاد خوداً بقى أدلجت سرت ليلاً وهي الدلجة
 وأدلجت سرت من آخره اذمته صادفته مذموما وذمته عبته اذال فرسه أو غلامه
 استهان بها وذال يذبل تبختر ارم القوم سكتوا والعظام صار فيها رم أى مخ وقدرمت
 عظامه أى يليت وفلان شأنه والغنم نياه أى كنهه أربع ولده في شبابه وأربع ورب
 حم ربعا وربع الجبل قتله على أربع قوى ارجع أهوى بيده الى خلقه ليتناول شيئاً
 ارم فلان قد زاده وأرم الحصير ورم له نسجه ورمل بين الصفا والمروة رملاً أى
 على السبعين واربي وأرماء عن ظهر دابته وأذراه ورمى الرقبة ارهن في كذا اساف
 ورهن الرهن ولا يقال ارهن الرهن وأما قول الشاعر

فلما حبيت أطافيره نجوت إرهمهم مالمسا

فن روى وارهمهم عطفه أى بد الماء وزبدته أعطاه وأطعمه الزبد ازهر التبت
 ظهر زهره ازربت به قصر وترى عليه عبته اسفراشرق وسفر بيته كنهه والريح
 السحاب وفلان بين القوم سفارة صار رسولا فهم والمرأة نقابها كشفته والسفير ما نحات
 من ورق الشجر فتسكنه الريح وألبرت الشئ كنهته وأعلنته وسررت الصبي
 قطعت سره والسرة التي تبقى اساف الرجل هلك ماله وساف المال يسوف هلك ورماء
 بالسواف وقال الاصمعي هو السواف بالضم كالغلاب والبخاروسافه سوف شمس اسمك
 الثوب خلق وسلك عينه ففأها اسد قال السداد

النجف (العراق) محمد رضا الشيباني (الباقي للآتي)

مطبوعات ومخطوطات

بداية المجتهد ونهاية المقتصد

للإمام ابن رشد الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥ طبع بالمطبعة لجمالية بمصر
 كلما بحث الباحثون في تركة السلف الصالح يعثرون على أسفار ممتعة تدل على
 علو كعب القوم في التفنن في التأليف ولا سيما ما خدّم الشريعة واللغة والأدب
 منه . وهذا الكتاب الذي طبعه محمد أمين أفندي الخانجي الكتبي وشركاؤه نقلا عن
 النسخة المملوكية المخطوطة بمخزاة كتب أحمد بك تيمور هي إحدى تلك الحسنات
 ادخرتها الأيام في القاهر لتخرج للناس في هذا العصر الحاضر والكتاب في
 مجلدين أجيد طبعه وشكله فخا تاما كما كثر مطبوعات الخانجي الكتبي وقد
 أثبت فيه المؤلف من « مسائل الأحكام المتفق عليها والمختلف فيها بادلها والتنبية
 على نكت الخلاف فيها ما يجري مجرى الأصول والقواعد لما عسى أن يرد على
 المجتهد من المسائل المسكوت عنها في الشرع وهذه المسائل في الأكثر هي
 المسائل المنطوق بها في الشرع أو تتعلق به تعلقا قريبا وهي المسائل التي وقع
 الاتفاق عليها أو أشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء الإسلاميين من لدن الصحابة رضي
 الله عنهم إلى أن فشا التقليد وقبل ذلك » فنثني على طابعه ونحت المشتغلين بالفقه
 والقانون على اقتناء هذا الكتاب البديع بأسلوبه وموضوعه

الأدب الصغير

لابن المقفع نشره أحمد زكي باشا

بمطبعة العروة الوثقى الإسلامية بالاسكندرية (١٣٢٩ - ١٩١١ ص ٧٨)

نشر أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري في السنة الثالثة من المقتبس كتاب
 الأدب الصغير لابن المقفع نقلا عن مخطوط عثر عليه عند أحد أعيان بعلبك ثم
 ضمناه إلى رسائل البلغاء التي نشرناها تحمل في مطاويها جميع ما عرف لعبد

الله بن المقفع ولعبد الحميد الكاتب من الرسائل والشذرات وها قد نشر صديقنا زكي باشا هذه الرسالة مرة ثانية نقلا عن مخطوط ظفر به في إحدى مكاتب الاستانة وقدم لها مقدمة في الاخلاق وأشار على عادة ثقات العلماء الامناء الى مصدر رسالته وأنه استعان بما نشره الشيخ الجزائري في المقتبس وعلق شروحا لغوية خفيفة على المتن بطبع مشرق للغاية وورق جيد بحيث جاء قرار نظارة المعارف العمومية بمصر بشأن تدريس هذا الكتاب في جميع مدارسها الابتدائية أحسن دليل على مساعدة حكومة مصر للأدب واختيار النافع من المطبوعات لانهاضها من كبريتها فلناشر الثناء على همته العالية

حديث عيسى بن هشام

أو فترة من الزمن لمنشئه محمد بك المويلحي

طبعة ثانية على نفقة الشيخ محمد سعيد الرافعي السكتي بمصر

(سنة ١٣٣٠ ص ٤٦٣)

منشي* هذا الكتاب من كتاب الدرجة الاولى في مصر بل في البلاد العربية كان نشر مقالات متتابعة في جريدة مصباح الشرق خيالية في الظاهر وحقيقية في الباطن وصف فيها حال مصر في أخلاقها وعاداتها ثم جمعها في كتاب أعيدت طبعته الاولى قال فيه أما بعد فهذا الحديث حديث عيسى بن هشام وان كان في نفسه موضوعا على نسق التخيل والتصوير فهو حقيقة متبرجة في ثوب خيال لانه خيال مسبوك في قالب حقيقة حاولنا أن نشرح به أخلاق أهل العصر وأطوارهم وأن نصف ما عليه الناس في مختلف طبقاتهم من النقائص التي يتعين اجتنابها والفضائل التي يجب التزامها وقد وفي الكاتب بهذا الغرض من كل وجه فمثل حياة مصر الاجتماعية ولا سيما أهل السرف والترف من بنيتها وربما بالغ في الاحايين في ذلك للتأثير في قلب القاري* بقوة البلاغة التي كثيرا ما يعتمد الى التسجيع في ابرازها ولكن سجع لا أثر للتسكف فيه على الجملة يدل على علو كعب المؤلف في الادب

ومبالغته في التثنيق والتنسيق . وقد رأينا بعض ألفاظ لا تلتئم مع تلك الدرر والغرر منها

في ص ٣٣ يرتكن على توقد ذهنه و ١١٢ ارتكنا على نهار أصومه و ١٥٧
كننا نرتكن عليه ص ٥٧ فلا يأبهون بها و ٣٠٠ كنت آبه بها ص ٦٤ المقاطعة
على الشاهد ٦٨ امتثلت لنصائحك ص ٧٣ امتلاً الباشا تعجبا واندهاشا
ص ٧٩ كان يضرب بغناقي (غناي) المثل ص ٨٧ سيما الرضا بالمقسوم ص ١٩٠
أخذت هذه الحانوت ص ١١٥ لا يتقون ببعضهم بعضا . وفيها تحرير الاوراق
وتسطير الصدوك و ١٣٦ حرر طلبا ص ١٣٥ تحصلت عليها بطرق مختلفة . فعرى
عن مسألة ١٣٧ صعد ثانيا الى السلم فوجدناه مزدهرا بجملته أناس ١٨٦ سبب
الهلاك والنجا (النجاة) ٢٦٢ أسرعت بالخروج أطلب النجا ١٨٨ احتذا
لما ترسمه ظروف الاحوال ٢٠٢ وهو بالسن الذي لم يصل فيه بعد الى التمام
٢٠٨ لكننا الاضمن عندي ١٢٠ وهؤلاء المتمدنون ٢٤٤ لا يؤثر عليهم
٣٢٢ فأحصى ما فيه عدا ٣٧٩ رأس متصدعة ٣٩٦ نستفيد من واسع علمه
أمورا شتى مسافة من الزمن ٤٠٧ بعد طول التنقل والتطور مثل هذه الاحرام
وخلافها ٤٢٨ وعدنا الى المدينة وقدمد من الغروب حباته ليقتنص من الاصيل
غزائه ففرقت نفسها شعاعا ٤٤٤ طلب مني أن نحكي الليلة بالسمر وأن أقتلها
معه بالسهر الخ

ومن هذه الالفاظ والتراكيب ما هو بعيد عن مناحي الفصحى دخیل في
اللغة أو ضعيف في التركيب ولغظه في غير موضعه ولعل المؤلف الفاضل بعيد نظره
في هذه النقذات فإن منها ما هو من لغة الجرائد ومنها ما هو من اللغة العامية
المصرية ولعله لا يرضى على الآداب بنفثاته بعد اليوم فهو من أعظم الناعين على الموطفين
فعسى أن لا تشغله الوظائف عن معاناة الكتابة لانهارة الافكار كما شغلت غيره
ممن ابتلوا مؤخرا في مصر بالتوظيف فطلقوا الاقلام طلاقا بتاتا

مجموعة اعمال المؤتمر المصري

طبع بالمطبعة الاميرية بمصر سنة ١٩١٢

عقد بعض أقباط مصر مؤتمرا في السنة الماضية طلبوا فيه الى الحكومة المصرية والانكليزية بعض مطالب سياسية واجتماعية منها ان تعطل الحكومة يوم الاحد بدلا من الجمعة أو مع الجمعة ومنها ان يمكن بعض ابنائهم من تولي بعض الوظائف الكبرى كاللديرين (الولاة) أسوة بالمسلمين الى غير ذلك من المطالب فهب مسلمو مصر على الاثر وعقدوا في مصر الجديدة من ضواحي القاهرة مؤتمرا عاما من كبار أرباب العقول والمفكرين والاعيان في القطر دام من يوم السبت ٣٠ ربيع الثاني ١٣٢٩ الى يوم الاربعاء ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٢٩ تليت فيه خطاب عديدة ومطالب في الاصلاح رشيدة فجاء ماقالوه نسخة صحيحة تتمثل فيها حالة مصر الفكرية وان مصر على انحطاط في بعض شؤونها الاجتماعية هي ارقى بلاد الاسلام لاحتالة

وكل من قرأ مادار في ذاك المؤتمر من المطالب وبسط فيه من الآراء وفصل فيه من الخطاب البليغة المدهشة يوقن بان خاصة المصريين لا يقتلون عن خاصة الاوربيين ولكن قضي على الشرق ان يكون بافراده مهما قوي او بمجموعه ضعيفا ضيلا ومما راقنا من خطب المؤتمرين في الاقتصاد والاجتماع والادارة خطبة محمود بك أبو النصر المحامي ومحمد حافظ بك رمضان المحامي وصالح بك حمدي حماد من الكتاب وابراهيم بك غزالي من الاعيان واحمد بك عبد اللطيف المحامي والشيخ عبد العزيز شاورش من الكتاب وابراهيم بك الهلباوي المحامي والسيدة باحثة بالبادية من الادبيات ومحمد بك أبو شادي المحامي والسيد علي يوسف الصحافي (وقد تكلمنا على خطابه في السنة الماضية) وعلي بك الشمسي من الاعيان وابراهيم بك رمزي من أرباب الصنائع وجبرائيل بك كحيل المحامي وعبد الستار بك الباسل من الاعيان وعبد الحاق بك مدكور من التجار ويوسف بك نحاس الحقوقي

وعمر بك لطفي المحامي وهاشم بك مهنا المحامي ومحمد بك علي المحامي وأحمد أفندي الألفي من أرباب الزراعة . وأنت ترى أن عدد المحامين أكثر من غيرهم ومعظمهم كانوا بمقترحاتهم وأقوالهم إلى أقصى ما يتصور من السداد مما دل على أن مصر غنية برجال القضاء فيها ولو تيسر أن يشارك في المؤتمر موظفو الحكومة المصرية لتليت فيه من الآراء السديدة أمور كثيرة غير ماسمعهنا فاعجبنا به فإن فيهم رجالاً هم من خيرة المفكرين والعالمين ولكن كان للمؤتمر شبه صفة سياسية ورجال الإدارة والقضاء يمنعون في معظم الأمم من المشاركة في الأعمال السياسية الظاهرة

تنزيه القرآن عن المطاعن

لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد المتوفى سنة ٤١٥

طبع بالمطبعة الجالية على نفقة المكتبة الأزهرية لصاحبها الشيخ محمد

سعيد الوافعي سنة ١٣٢٩ ص ٤٣٦

مؤلف هذا الكتاب شيخ المعزلة بل من أكبر مشايخهم الذين قال فيه الحاكم وليس تحضرني عبارة تحية . بقدر محله في العلم والفضل فإنه الذي فتح علم الكلام ونشر بروده ووضع فيه الكتب الجليلة التي بلغت المشرق والمغرب . وكان الصاحب يقول فيه هو أفضل أهل الأرض ومرة يقول هو أعلم أهل الأرض ومصنفاته كثيرة قيل إنها بلغت أربعمائة ألف ورقة في كل فن . وكتابه هذا إملأه في تفصيل ما بين الحكم والمتشابه عرض فيه سور القرآن على ترتيبها وبين معاني ما تشابه من آياتها مع بيان وجه خطأ فريق من الناس في تأويلها . وهو لا يستغني عنه مولى بالبحث في الكتاب العزيز وأسراره . ويليه مقدمة التفسير لابن القاسم الراغب الأصفهاني وناهيك بكل ما خطته أنامل هذا المؤلف الذي أجاد في كل ما كتب . والغالب أن الناشر اعتمد على نسخة دار الكتب الخديوية في طبع الكتاب الأول وعلى نسخة أحد العلماء في نشر مقدمة التفسير أو بإحداً لو أشار في المقدمة إلى الأصل

المطبوع عنه تقيماً للقائدة ولعز يد شكر العلم الاسلامي له .

الاخبار الطوال

لابي حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨١

لمصححه وضابط القاظه وناشره الشيخ محمد سعيد الرافعي

طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠ ص ٣٨٣

طبع هذا الكتاب في ليدن من بلاد هولاندة وتداوله أهل العلم واستفادوا منه على ما فيه من الاخبار الواهية الضعيفة وقد أعاد طبعه صاحب المكتبة الازهرية عاهدا الى الشيخ محمد الحضري من فضلاء المدرسين في هذه العاصمة ان يعلق على كل قطعة عنواناً لئلا يكون الكتاب جملة واحدة وبذلك أصبح قريب النال على أهل هذا الشرق وبالت ناشر أشار الى النسخة التي أخذ عنها حرمة لعمل العاملين سواء كان اعتماداً على نسخة مخطوطة أو مطبوعة لعز يد الثقة

الدولة والجماعة

لاحمد شعيب بك ترجمه محب الدين أفندي الخطيب

طبع بمطبعة المؤيد بمصر ١٣٣٠ - ١٩١٢ ص ٦٧

احمد شعيب بك من علماء العثمانيين وكتابهم خلافاً كتباً ورسائل مهمة وكتب في مجالات الترك مقالات ذات على عقل واسع وتحقيق لا يستهان به وقد ترجم له محب الدين أفندي الخطيب أحد كتاب المؤيد هذه الرسالة البديعة التي قصد بها تنبيه قومه الى سلوك محجة الصواب في نشاطهم الدستورية وتجنب الطفرة في تكيف نظام الحكومة . وقدم لها صديقنا رفيق بك العظم مقدمة ابانت عن غرض الرسالة وملت بذكر من ضرب في العلوم الاجتماعية بسهم وذكر المغرب ترجمة المؤلف وتأثيراته في اندية الترك فله الشاء على نشاطه وعسائه يوفق الى ترجمة المفيد من امثال هذا الكتاب

ديوان أبي الحسن

نظم الشيخ محمد خير الطباع طبع بمطبعة الفيحاء بدمشق
سنة ١٣٣٠ (ص ٩٨)

جمع هذا الديوان احمد أفندي عبيد في دمشق وفيه ماقاله الناظم في أوقات
مختلفة واغراض شتى وشرحه محمد سليم أفندي الحنفي وشعر الناظم بين شعر الفقهاء
وشعر متوسطي الشعراء ولوطال عمره لحادث ملكته ولواسع الوقت لكل من يعاينون
القريض وتدبروا أساليب شعر القدماء والبارعين فيه من المحدثين أولو كتب لا كثرهم
ان يطلعوا على ما نظمه شعراء الافرنج بلغاتهم لما أقدم معظمهم على نشر شيء
من منظوماتهم فان المدح والفرل والتشطير والتخميس من أعظم ما ابتليت به هذه
اللغة ولا سيما في أيامها الاخيرة . والشعر لو انصف الناس لما نشروا منه الا بلغة
فانه مما لا يطاق فيه التوسط مثل الموسيقى والخطابة والتصوير . ومن لم يرزق طبعاً
سلياً في البيان منظومه أو مشوره فالأشبه به ان يمشي مع طبعه واستعداده والابدث
مقاتله وقصر في خدمة أمته

اخبار وأفكار

الكاثوليك في أميركا

إذا كانت الكنيسة تتراجع في بعض الممالك الأوروبية فإنها على تزايد في
الولايات المتحدة وهي البلاد التي اتسع صدرها لكل مذهب ونحلة وطريقة . فقد
بلغ عدد الكاثوليك فيها ١٥٠١٥٥٦٩ نسمة هذه السنة وكانوا منذ عشر سنين
١٠٩٧٦٧٥٧ وعدد رهبانهم هناك ١٧٤٩١ ولهم ١٢٩٣٩ كنيسة و٤٠ رئيس
أساقفة . وثلاثة كرادلة و٩٧ أسقفاً و٨٣ مدرسة أكليركية فيها ٦٠٠٦ طلاب
و ٢٢٩ مدرسة عالية للذكور و ٧٠١ مدرسة للإناث و ٥١١٩ معبد مدرسة فيها
١٣٣٣٧٨٦ تلميذ يتعلمون في المدارس التابعة وعندهم ٤٧١١١ بتياريون في ملاحية .

اليتامى وبذلك بلغ عدد من تعلمون التعليم الكاثوليكي في أمبركا الشمالية ١٥٤٠٠٤٩
تلميذا وتلميذة فتأمل هذا التفاوت في بث الدعوة الدينية في بلاد هي عرق الامم في
حب المادة والماديات

عملة الهنود

خمس عشرة مليوناً من الشعب الهندي البالغ زهاء ثمانية مليون نسمة يعملون
في المعامل والمناجم والترموايات ويتنقلون في البلاد يبحثون عن عمل لهم لا يهتمهم الا
ان يدخنوا ويشربوا ويأكلوا ولا يدخرون شيئاً لمستقبلهم بل يصرفون في المشروبات
الروحية والذائدات الجسمية ما يحصلونه ورزقهم قليل وان العامل الانكليزي يعمل
هناك ثلاثة أضعاف العامل الهندي وبالطبع تزيد عمالته أي أجرة عمله على
تلك النسبة.



خزانة كتب عجبية

افتتحت في نيويورك خزانة كتب من أدهش الخرائن وكانت ثلاث خرائن ولا فجمعت في واحدة فيها جميع أسباب الراحة للمطالعين بحيث تراهم في غرفها كأنهم في بيوتهم يخرجون الكتب اللازمة لهم بأيديهم ويعيدونها كذلك على صورة لانتحدث تشويشا على سائر المطالعين . وهذه المكتبة تعبر الكتب اللازمة الى البيوت خاصة وفيها مطبعة لطبع الفهارس ومعامل للتجليد وأدوات لتوليد الكهرباء لاثبات عشرين ألف مصباح ولو جمع طول قاطر هذه الخزانة لبلغ مئة كيلومتر وقد كفت نحو مليوني جنيه

المعمرون

اثبتت إحدى الاوانس المذهبات ان أرباب الصناعات والفنون اطول الناس اعمارا واستشهدت باسماء كثير من المصورين والنقاشين مما كانوا يحركون أناملهم وهم بعد السبعين والثمانين والتسعين والمئة من حياتهم وقالت ان بعد الغننين يحيى جمهور اللاهوتيين والفلاسفة بطول اعمارهم وبلاد بلغاريا اطول الناس اعمارا ففيها ١٣٨٣ ممن بلغوزها . مئة من عمرهم أي واحد في المئة من السكان ثم نجي . رومانيا وفيها ١٠٧٤ والعرب وفيها ٥٧٣ ثم اسبانيا ٤١٠ ثم فرنسا ٢١٣ وإيطاليا ١٩٧ ثم النمسا فانكلترا وروسيا فالمانيا فنورمانديا

الخشب الصناعي

اخترع أحد الفرنسيين خشبا صناعيا يقوم مقام الخشب الطبيعي ويخدم التجارة خدمة جلي وطريقة ذلك تحويل القش الى مادة صلبة كالبلوط والزان فيخمر وتضاف اليه بعض المواد السكاجوية ثم يضغط هذا العجين في قوالب بحسب الطلب منها الدقيق ومنها السكثيف ومنها الطويل ومنها القصير ومنها الاسطواناني ومنها متوازي الاضلاع ويمكن نشر هذا الخشب كما ينشر الخشب الطبيعي واذ كان القش رخيصا جدا في كل محل أصبح ثمن هذا الخشب رخيصا أيضا وهذا

الحشب يستعمل للدف، تتأجج منه نار عظيمة ولا ينبعث منه دخان كثير ويستعمل أيضا لصنع الثقاب أو عيدان الكبريت وخشب أحسن من الخور وأقل غمًا ويصنع منه ورق الصر ويستعمل في أمور أخرى

الخطر على المدينة

كتب أحد كتاب الانكليز مبحثا في هذا الشأن قال فيه ان فلسفة التاريخ قد جلت الماضي أحسن نجلة ولذلك يسوغ اتخاذها خطة معينة للحاضر والمستقبل والام كالاسر تكبر وتنمو كل النظم تنحط بالتدريج فتستبدل قوتها ضعفا وعظمتها انحطاطا وهم من أمة حكمت العالم فاصبحت اليوم نسيا منسيا خلقتها غيرها وهذه سينالها ما نال سابقاتها . ولقد اختلفت أزمان الحضارات في القديم فلم تدم حضارة مصر أقل من خمسة آلاف سنة ودامت حضارة بين النهرين ثلاثة آلاف ومثلها حضارة الصين في حين أن حضارة فارس وآثينا واسبارطة والبنديقية لم تدم كل منها أكثر من بضعة قرون . ومثل هذه العلام مشاهدة في عامة الامم وهي من المثل بحيث ان المؤرخ عند ما يكشف عن أعراض الامراض في أمة يحكم على آخرتها حكما أكيدا . وقد لاحظ بعضهم أن ترك التقاليد الدينية يتقدم أبدا سقوط الممالك وان الافراط في قبول الدخيل من الناس والتفاني في الديمقراطية والاشتراكية مجلبة للانحلال في الشعوب على ان هذه الآراء قد لا تصدق وتمر بها الامم لا تصيبها بانفة . ويؤكد كثير من المنشائين ان فرنسا ذاهبة لانحلالها وأول ما ينعمونه عليها قلة تناسلها وعدم الاتحاد بين أجزائها مما يورث البلاد ضعفا وحب المال الذي ساق الشعب الفرنسي لاحتقار الفنون والجمال بل الشرف وكل ذلك ليس من الحليج الدامغة في هذا الشأن فان هناك حوادث تقلق الاجتماعيين كل القلق من مثل زيادة عدد المجانين سنة فنة فقد كان عدد البله في الولايات المتحدة سنة ١٨٨١ - ٣٦٣ في كل مئة ألف فاصبحوا اليوم ٤٢٩ وصعد عددهم في بروسيا من ٢٢ في العشرة آلاف سنة ١٧٨١ الى ٣٦ سنة ١٨٩٥ وكان

عدد المختل شعورهم في ايرلاندا سنة ١٨٨٩ — ٧٥ ألفا فاصبحوا سنة ١٩٠٨ تسعين ألفا ومعدل المجانين في انكلترا ٤ في المئة وعدد الجرائم يزيد كثيرا وبعض البلاد كانكلترا تحسن حالتها من هذا القبيل . وخير الذرائع التي يعمد اليها للإصلاح ادخال التحسين الطبيعي والأخلاقي

الخطر الأصغر

لا يزال المفكرون في الغرب يذهبون مذاهب في تقدير الاخطار التي سنشأ بعد قرن او قرنين من الخطر الأصغر اى ترقى الصين واليابان وانكشاف شعوبها على الغرب يخربون مدينته ويجعلون أعزة اهلها أذلة وقد كتب احد المحققين من الانكليزة مقالاً في هذا الصدد قال فيه ايس الخطر في تجريد الصين مليوني رجل من جندها يسبرون متراسة صفوفهم على اوروبا يخربون كما خربت المرسى البلاد فان الصيني يكره الحرب بفطرته ولا يدعى لحمل السلاح الا لتوطيد الا من ايام السلام وما منهم من يعرض حياته للخطر لقاء بضعة دربهات يقبضها اجرة عمله بل الخطر كل الخطر في انحلال نظام الصين الحالي وهجرة اهلها الى اوروبا واميركا بالملايين يكاثرون اهلها ويزاحونهم في الصناعة والاعمال المختلفة وقد عرفوا بمصائبهم وصبرهم الذي لا يوصف بحيث اذا كثروا في ديار الغرب تغزل بوجودهم الميزانية الاقتصادية والصناعية فهم اذا هاجروا الى بلد كاللحمه العافلية يورثونها ضعفا ويقوون بمواردها ويقطعون عيش اهلها هذا ما ادركته اميركا واوستراليا فوقتنا قاتلان اخطارهم بما فيهما من قوة

التعليم الديني الياباني

لا تعلم اليابان في مدارس الحكومة ديناً من الاديان مثل فرنسا وسويسرا وايطاليا واميركا وهذا القاعدة جرت عليها منذ ثمانمائة سنة سنها لها ياس مؤسس دولة توكو كانا وحافظت عليها الحكومات التي خلفته وكان السكينة البوذيون قبل أسرة الشوغن ومجموعة المائة قانون التي حصرت السلطة كلها في يدها يعلمون قواعد الدين في معابد المدارس وعلى تسامح يياس مع البوذيين الذين أنشأ لهم معابدهم باضطهاد

أشباع المذاهب الأخرى رأى أن حكم كوفوشويوس على النحو الذي يستعمله اليابانيون تسكني الشيبية ونحظر على كهنة بوذا أن يدخلوا في مدارس الحكومة ثم تبين أن الكنائس على اختلاف مذاهبها التي كانت تحاول لتصير اليابانيين لا ينشأ منها إلا مشا كل في الآراء فلما أعلن الميكادو سنة ١٨٧١ دستور الجديد أغلق أبواب المدارس كلها عن دخول دين من الأديان إليها وهذا العمل الشديد وقع الاستحسان عليه ودلت التجارب في هذه المدة على ضرورته على أن كثيرا من البوذيين والمتنصرين ما زالوا يزعمون أن سبب انحلال الأخلاق في اليابان حظر تدريس المذاهب في المدارس ولكن التعليم الديني يمكن تدريسه خارج المدرسة بدون عائق وهذا ما جرت عليه جميع الحكومات بالتدريج لأنه من أقوى الدواعي إلى استقلال العقل ويرى بعض كتيبة يابان — وعندهم نقل هذه الآراء أن البوذيين وغيرهم يدخلون في التعاليم الدينية مبادي لا تنطبق على مبادي الحكومة ولذلك كان حظر تعليم الدين أولى

سكة الصحراء

قالت المجلة الباريزية أن مشروع سكة حديد الصحراء الذي كبرت في تصويره الألماني لم ينل من التنشيط ما كان يتوقع له على ما فيه من الفناء والفائدة والقوم يفكرون اليوم في مشروع أوسع منه أي أن المشروع الجديد لا يقتصر على مد خط حديدي في صحراء أفريقية بل في خط يقطع أفريقية فيجتاز المسافة من وهران في الجزائر إلى رأس الرجاء الصالح في الجنوب أي قارة أفريقية بأكملها وهو خط حديدي طوله عشرة آلاف كيلومتر وبذلك يتيسر السفر من لندرا إلى الترنسفال في تسعة أيام ومن أفرس إلى السكوتغو البلجيكية في خمسة أيام وقد مدت الآن ثلاثة آلاف كيلومتر في أفريقية الجنوبية وسنائة في ولاية وهران فبقي إذا ٦٤٠٠ كيلومتر وهي مسافة أقل من مسافة خط سيبيريا الحديدي التي تعد على طول ٨٦٠٠ كيلومتر وهم عتبة في هذا الباب اجتياز الصحراء أي بين الجزائر والسودان والمسافة ألفا كيلومتر تسكون في بلاد قاحلة لا تنجارية فيها وإذا استطاع عقل الإنسان أن

يحول الفيضانات السنوية التي تجري في نهر النيجر بواسطة خزانات وسدود ويروي بها ذلك السطح العظيم الممتد شمال ممبكتو على نحو ما يجري في مصر وبعبارة ثانية إذا بلغ من الذكاء الانساني ان يحول مياه النيجر الى الصحراء تسقط معظم الصعوبات المتظرة من مد هذا الخط

شرائع بابل

كتب أحدهم يقابل بين شرائع بابل وشريعة موسى فقال ان شريعة البابليين عبارة عن أحكام صادرة في أحوال معينة خاصة ومنها ما عرف منذ عرف تاريخ آشور الا ان الفكر القائل بان هذه الشريعة كانت مجموعة في كتاب واحد قد رده المؤرخون ولكن ثبت ان بابل كان لها قانون مسطر منذ عهد حورابي المعاصر لابراهيم وكان الناس خاضعين لاحكامها في جميع المملكة من بلاد عيلام الى فلسطين ومن أهم أحكام هذه الشريعة عقوبة الاعتداء على الملكية أو التملك فقد كان السارق يعاقب بالاعدام الا قليلا وذلك لان بلاد بابل كانت تجارية والاعتداء على الامن العام يعد أعظم ماس للملكية والامن هو عامل عظيم في الحياة الانسانية فشريعة بابل من هذه الجهة تختلف عن شريعة موسى وذلك لان هذه الشريعة في الزمن الذي وضعت فيه كانت الحرب أكثر من التجارة شغل الامرائيليين الشاغل وبينما كانت حياة الفرد نافعة للمجموع برمته كانت ملكية الافراد قليلة المكانة بالنسبة وهكذا الحال في الاختلاف بين الشرعيتين يعرف ذلك من قانون الارث فقد كان الاب في بابل حراً بان يقف جزءاً مهماً من ماله على ولد يتبناه أو يحبه أكثر من أولاده بوصية يوصي بها والنساء قد يمنعن من ارث ازواجهن في حالات مخصوصة مما لا أثر له في الشريعة الموسوية . وان توريت الثروة وصية يوصي بها المالك لتدل على تقدم في درجات المدنية وأفكار راقية في مسائل حقوق الملكية . قال وان جمع قوانين بابل قد أثر في شرائع آسيا الغربية كما أثر في الشعوب السامية

القهوة وسمها

عرف منذ زمن أن في القهوة مادة سمية تحدث في بعض الأشخاص تأثيرات فسيولوجية وأوجاعا عصبية وقلبية واضطرابات معدية وضعفا في المجموع العصبي وقد استخرجت هذه المادة التي سموها «كافين» سنة ١٨٢٠ واستعملت دواء مسهلاً ومشهياً ولكنها إذا أخذت بدون معرفة تضر كل الضرر وكثير من الناس يقعون في أخطارها إذا أفرطوا في تناول القهوة على غير معرفة . وقد شبهوا الأعراض التي تصيب الكثيرين من القهوة بالأعراض التي تصيب الكثيرين من الإلكحول فالقهوة كالشروبات الروحية تلذ بطعمها وريحها وقلما تورث نشاطا في الجسم إلا أن الكافين يضاعف وظائف القلب ويحدث قلقا قد يشغله دوار وأوجاع رأس واضطرابات أحيانا فينبغي والحالة أخذ رأي الطبيب في استعمال القهوة لأن المنة غرام من القهوة الخضراء تحتوي من المادة المسمة بحسب جودة القهوة ودرجاتها ما لا يقل عن ثمانية بالآلاف ولا يزيد عن اثنين في المنة والقهوة المستعملة في الغالب تحتوي جزءاً واحداً في المنة من الكافين وثلاثة فناجين قهوة في اليوم لا يقل ما فيها من هذه المادة عن ثلاثة في الآلاف . والعلماء اليوم يبحثون لابتكار طريقة يستخرجون بها المادة السامة دون أن تفقد القهوة رائحتها وطعمها

غلات طرابلس الغرب

بحثت إحدى المجلات الفرنسية في حاصلات طرابلس بمناسبة احتلال الطليان فقالت أن تجارتها اليوم تجري بالمقايضة لا قليلا فيعطي البائع مثلاً ثمرات لافاء بضائع أخرى وأشجار النخيل أهم غنى السكان يدفع عنها خراج بقدر أعدادها كما هو الحال في مصر حيث تدفع كل نخلة عوائد نحو ٤٠ سنتيماً . ويقدر عدد النخيل في طرابلس بنحو مليوني نخلة تجود محصولاتها بقدر ما يستطيع أهلها ربيها من العيون الطبيعية أو آبار الواحات ونحتاج كل نخلة لثلاث لتر ماء في الدقيقة حتى لا يهلك ولا يفسد إذا سقيت نصف لتر تجود أكثر من ذلك . الماء موجود بكثرة تحت سطح

جرائم مضرّة أفلها ارتباك في معد الآكلين وقد وضعوا لذلك قيودا يفرم بفراغات
 فاحشة كل من يخالفها ورسوا بان يغطى كل شيء ان لم يكن في الواح زجاج
 فلا أقل باقمشة تغطيها كاهابل ان ولاية تكساس حظرت بيع البياغات في الارقة
 للفواكه والبقول لانه لا يعقل أن يسرن بما يحتمل ساعات في الشوارع ولا يصيبها
 الضباب دغ عنك جس المتابعين لها وكثيرا ما تكون أيديهم قذرة . وقد ارتأى
 أحدهم أن أحسن واسطة لاتقاء الاخطار المنبعثة من الغبار اذا عجزت الحكومات
 عن دفعه ان يكون للناس من انفسهم لانفسهم مراقب فلا يتعاونون من بائع معرض
 ما يبيع من الماء كولات على هذه الصورة وبذلك يفهم الباعة ما ينبغي لهم اتقاؤه حتى
 تروج بضائعهم فيتعلمون بالقدوة وهو رأي حسن نافع خصوصا في مثل بلاد الشرق
 حيث فقدت قوانين الحسبة القديمة ولم يخلفها من قوانين المجالس البلدية الحديثة
 ما يشدد على السوقة والمزقة في بياغاتهم لبراءوا الصحة فيها ويتقوا الوجدان
 فقد رأينا الناس علموا باعاة المشروبات أن الاولى غسل الاواني كل مرة بما
 جديد فشاعت هذه الطريقة في بعض المدن وحذ الوتسري الى بلاد الاقاليم والارياض

القرود الضخمة

للقرد الضخمة في جنوبي افريقية ذكاء مدهش حتى ان سكان تلك البلاد
 يظنون جنسها قد رزق من ذكاء التكلم وانه يتمتع عنه مخافة أن يستبد ويكره على العمل
 وقد استشهد أحد رحالة الانسكلز الى تلك البقاع بحادثتين ثبتان ذكاء القرود
 الاولى انه كان لاحد عمال السكة الحديدية قرد يريه فأصيب صاحبه بعاهة
 اقتضت قطع ساقه فكان قرده يتولى أكثر عمله وعمله عبارة عن فتح ابرة الخط
 في اوقات مرور القطارات والحادثة الاخرى هو انه كان لصاحب قطيع قرد يرسله
 في غنمه بدلا من الراعي يقمها من كل سوء بل يبالغ في وقايتها ولا سيما في اوقات
 الحظر والعواصف ويضرم القرد ياذن اشارة ومنه ما يستخدم في تقديم الشراب
 ومناولة الكؤوس والاكواب

الأرض ولكن قلة معرفة الأهالي بأصول الري الزراعي دعهم الى ان يعتمدوا على الطرق القديمة العقيمة في السقيا فاول ماء يستخرجونه مالح وحر لانه مستقى من عمق قليل والاحسن ان ينزل في امتياح الماء الى العرق الثاني والثالث ليكون الماء نقيا بارداً غزيراً . والامطار غزيرة على الجبل في طرابلس ويكون منها ماء شروب بقدر الكفاية وان يكن هطولها أحياناً رذاذاً لا وبلاً ولا ينشأ عنها فيضان في العادة الا نادراً جداً والآبار الارتوازية العادية التي حفرت في ذلك الصقع قد آتت بفائدة وتروي البئر الواحدة أربعة آلاف نخلة وغللات الزيتون حسنة للغاية ولكن الزيت الذي يصنع منه في البلاد غير حسن الطريقة واذا استخرج على الطريقة المدنية يكون منه مورد ربح عظيم ويزرع في طرابلس شجر اسمه السيارتي المعروف بمخاصياته في التداوي وفي طرابلس مناجم كثيرة والطبقات الجيولوجية في البلاد متنوعة مثل الفوسفات والبطرون والسكريت . ويمكن ان يربى النعام في ذلك القطر لانه لا يحتاج الا الى الماء كافي ويطبخ في الاحياء بالعلف والحبوب فينافس ديشه وتجارته اسواق رأس الرجاء الصالح في جنوبي افريقية خصوصاً بعد انشاء طرق للمواصلات وعدم الاعتماد في النقل على الجمالة والجمال

خزن الماء

وفق أحد كبار المهندسين في أميركا الى اختراع طريقة تخزين الماء في الشتاء لتستخدم في الزراعة زمان الصيف وهو ان تجعل الأرض أنلاما كبرى وتحفر في بعضها خنادق تساق اليها أمطار الشتاء وقد نفعت الطريقة العلمية التي اعتمد عليها واذا ظهر نجاحها أكثر لا تلبث أن تعم عالم الزراعة فتخصب بها كل أرض غير قابلة اليوم للزراعة بحسب الظاهر ولا سيما في شمالي افريقية وغربي آسيا

الحرب على الغبار

أثارت بعض الولايات المتحدة الاميركية حرباً عواناً على الغبار اذ ثبت في الصحراء ما يعلق منه الحلويات والفواكه المعروضة للبيع في حوانيت الباعة ينقل

الجرائم الضارة الى الآ كاسين ورأت الحكومة ان يحظر على بائعات البقول والفواكه ترك أحد من المبتاعين يمس شيئاً مما يبيعون وان لا ينقلونه مكشوفاً مما يمكن ومن خالف ذلك غرم بغرامات باهظة ورأى بعضهم ان خير طريقة لتربية بائعي الفواكه والبقول والحلويات ومنهم من يعرضون بياعتهم للغبار ان يمتنع الناس عن أخذ شيء يخالف هذا القانون وبذلك يضطر الباعة الى العمل بقواعد الصحة كما فعل بعض المدينين في الشرق واستكفوا من الشرب من آنية باعة المبردات والمثلجات الابد غسلها فاضطر معظمهم ولا سيما في المواضع الى العمل بهذه الطريقة

اكتشاف أميركا

التي الرحالة نانسن محاضرة في الجمعية الجغرافية في لندن قال فيها ان أول من نزلوا الى أميركا قبل كابوت هم النورمانديون في القرن العاشر للميلاد وهم المهاجرة الأول الذين اجتازوا البحر المحيط وكانت الملاحة قبلهم مقصورة على التنقل بين الشواطئ القريبة ولا يتجشمون خطراً البحار واجتيازها من عرضها وسافر الايسلانديون في القرن العاشر أيضاً فبلغوا غروانلاندة وأسسوا على الشاطئ الجنوبي الغربي منها مستعمرتين تشهد لذلك أسماء المدن التي وردت في ادبياتهم القديمة وسنة ٩٩٩ كانت أول رحلة رحلها الرحالة أريك الأحمر الايسلاندي في المحيط

نساء الحثيين

أثبت الاستاذ كارستان من كلية ليفربول ان كاهنات الحثيين كن من أشجع النساء المتشبهات بالرجال في الامم القديمة . والحثيون احدى الامم السبع التي حالت دون تقدم الاسرائيليين نحو الارض المقدسة وهؤلاء الحثيون هم أول شعب جند النساء في الجيش فالنساء الشبيهات بالرجال المشهورات في علم الاساطير اليونانية هم الاصل فيها . وقد اكتشف الاستاذ المشار اليه في قبور حفرت في الصخر في بوغاز كوي من آسيا الصغرى صوراً من هذه الكاهنات المسلحات ومنهن من كانت تقاتل فارسة ومنهن تقاتل راجلة وهن من حول رب لهن يدافعن عنه وبوغاز كوي (أو

بوغنا كوى) من مدن الحثين المشهورة وقد فقد نساء الحثين صفتهم الدينية عندما داهم الحثين الفريجيون والمصريون والاسرائيليون فأبلى نساء الحثين في تلك الحروب بلاداً حسناً مدامقات عن أربابهن ووطنهن وقد أخذت بعثة انكليزية تبحث عن آثار تلك البلاد لما عرف من أن الحثين هم من أكبر أمم آسيا الصغرى قبل زمن ابراهيم وكانت لهم مستعمرات في القرن الرابع عشر قبل الميلاد تؤدي اليهم الجزية مثل مستعمرات قيليقية وليكاونيا وفريجيا وليديا قاوموا الاسرائيليين زمناً طويلاً ولم يضمحل عمرانهم الا بعد تسعة قرون قبل الميلاد فضعت شجاعة نسايتهم .

الطب في نينوى

جرت حفريات في السنة الماضية في محل مدينة نينوى القديمة وظفر فيها بأشياء تدل على أن علم الطب وعلمائه قد ارتقت في بلاد آشور قبل المسيح بستة قرون . فن عشرين الفلوحه اكتشفت وهي من مكتبة الملك أسور بانيال القابع العظيم لمصر وبابل الذي نقل رعاياه الى بلاد السامرة — مئات تبحث في المداواة وطرق الوقاية ووصفات الاطباء فكانوا يصفون للكثيرين الامتناع عن كل شراب كما يصفون الصيام لمن أفرطوا في الاكل . وأكثروا ما كان يستعمل في بلادهم من الادوية الزيت وزيت الخروع وشراب التمر والعسل والملح وكثيراً ما كانوا يستعملون التغميز (التمسيد) ومن أصيب بالصفراء يدلك ببصلة الى غير ذلك من الوصفات الساذجة والمداواة العجيبة .

القبلات الضارة

تبين من بحاث مدير العمل الكيماوي في ولاية انديانا باميركا أن من الاولاد كثيرون أصيبوا بالسل متقللاً اليهم من قبلات قبلهم ايهاا بعض المصايين من أقر بانهم في أفواههم فقلوا اليهم جرائم العدوى فتأصلت فيهم واضههم وان القبلات أوردت الاطفال حيائهم المنيات فالاحسن التقليل من التقبيل والا فيصاب الضغار والسكبار بامراض سارية من هذا القبيل .

ألمنة البولونيين

وضع الدكتور نيكيز كتابا في الالمان والبولونيين وصف فيه الطرق التي سلكتها ألمانيا لألمنة البولونيين اى جعلهم المانة في اقليمى بوزانيا وسيلزيا قال ان بسمرك غداة الحرب السبعينية قضى بان يعلم بالالمانية في جميع بلاد بولونيا البروسية وتناول هذا التعليم سنة ١٩٠٠ التعليم الدينى فاخذ البولونيون يقاومون ذلك كل المقاومة والحكومة تمالى كل قوة في اخضاعهم لتعلم الالمانية وترك لغتهم حتى تلقى الاساتذة في المدارس أوامر من الحكومة لاستخدام العصا والضرب باليد والرجل ومع ان الحكومة عاقبت آباء التلامذة الذين حاولوا اقامة الحججة على هذا الضرب من التعليم بعقوبات شديدة للغاية لايسعنا ان نقول بان المانيا استطاعت ان تبدل الروح البولونية ولا ان تضعف الايمان البولوني ولا الرجولية البولونية فحبذا لو عمات كذلك كل أمة تحاول أخرى ان تقضي على لغتها خصوصا اذا كانت اللغة المحكومة أشرف من اللغة الحاكمة وايفد مادة ومعنى .

مدارس تدبير المنزل

كثرة المعامل في أوربا دعت النساء في معظم الممالك ان يقبلن عليها ويتركن ماخصصن له من ادارة البيوت حتى ان بعض بلاد المانيا وسويسرا أخذت تجد صعوبة زائدة في ايجاد خادmates وغيرهن لادارة شؤون البيوت فارتأت سويسرا ان تنشئ مدارس تعلم تدبير المنزل للفتيات فيعلمن الطبخ والخبز وعمل الخلوى والمريات وشغل الابرة والغسيل والكى وهندام البيوت ومبادي الصحة والحساب وينتظرن لدن خروجهن شهادات تسمح لهن بايجاد عمل للحال وكثير منهن يرجعن الى بيوت آبائهن وقد ثبتت حسنات هذه المدارس وهذا التعليم في تلك البلاد فيا حبذا لو أنسن مثلاً في هذه الديار فان الفتيات الفقيرات لا يجدن مايعشن به وكثيراً ما يضطرون الى الاتجار بالاعمال المحظورة ليا كان ويشربن ولو كن متعلقات ببعض المبادي في ادارة شؤون البيوت لكان على أكثر أهل اليسار في هذا القطر

وغيره ان يستخدموهن بدلا من الاجيرات والظواهر العربية^١

الموسيقى العربية

رفع نجيب أفندي نحاس المحامي الى معتمد انكسار بمصر تقريرا باللغة الفرنسية عن الموسيقى العربية قال فيه : يظن الاوربيون ان موضوع الموسيقى العربية فقير للغاية لا يستحق الاهتمام وهذا ناتج عن كون الموسيقى العربية غير متقنة في ايماننا هذه لانه تنقصها قواعد التأليف وامتزاج الاصوات ولكن من تأمل الحانها الفاها غاية في الرقة واللذة وأنا كدائها ببقية علم كان زاهرا في العصور الغابرة

والذلك سمعت منذ ١٥ سنة في البحث عن أصول هذا الفن الجميل ووفقت الى مؤلفات مكتوبة بخول اليد ومحفوظة في أوربا في مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة نظارة المستعمرات في لندن عثرت على ١٥ مؤلفا باللغة العربية والفارسية . وكذلك في مكاتب باريز وفيينا وميلانو وليدن فاثني عشرت على ١٤ مؤلفا أخرى . وقد اتضح لي منها ان الموسيقى كانت زاهرة زاهرة ايام الخلفاء . فاجتهدت في استخراج الابعاد التي يتكون منها المقام العربي من القرار الى الجواب فالفيتها ١٧ بعدا خلافا للابعاد الاوربية فانها ١٢ بعدا فقط . وقد أجمع المؤلفون الاوربيون على ذلك عدا بعضا منهم فانهم خالفوهم الى درس ناقص في هذه المؤلفات . ومن ضمن من كتبوا في هذا الموضوع فاتيس وايروس وكيزفيتز والبارون هر بور جستال ولاند والبارون كارا دي فو وألي سميث وآخرون وقد امتحنت الارقام الحسائية بالطريقة الجبرية وبطريقة التونومتر وفحصت الآلات المحفوظة في متحف سوت كنسرنبجتن الذي تكلم عنها كارل أنجل في كتابه الثمين عن ذلك المتحف

ولما كان هناك فرق بين الابعاد العربية والاوربية فلا يمكن احداث الانغام العربية على الآلات الاوربية ولذلك اهتمت بصنع بيانو شرقي في برلين ولقد خصصت جانبا من سفري هذا الى أوربا لتبميم هذا البيانو ومتى تم اسعى في اصطناع الآلات الاخرى كالآلات النفخ الحشبية والنحاسية وقد وضعت طريقة

لكتابة الموسيقى العربية بعلامات تكتب من اليمين الى الشمال على سبعة اسطر
سهولة الاستعمال ومتى تم تركيب هذه الآلات سأؤلف جوقة تضرب وأؤلف
أوبرا كوميك وما أشبه ذلك

ولما كان ذلك يستلزم اهتماماً فائقاً مني وقضاء وقت طويل ومصاريف اصطناع
هذه الآلات وانشاء مدارس لتعليم الموسيقى العربية بحسب الطريقة العلمية التي
سأدونها في الكتاب الذي سأطبعه قريباً فقد فكرت في ان اتشرف واضع مشروع
هذا تحت رعاية فخامتكم السامية فكل بلدة في أوربا لها مدرسة للموسيقى على
نقطة الحكومة وسيكون ذلك في مصر أيضاً اذا شئتم مشروعى هذا بعين الرعاية
وكلفت نظارة المعارف العمومية في مصر الاهتمام بمساعدة هذا المشروع مساعدة
مالية وأدبية .

ولا يخفى ان هذه المدارس الموسيقية في مصر ستساعد على تربية الشبيبة المصرية
وتهذيبها لان الموسيقى لغة الارواح ترفع النفس الى الرغائب الحميدة وتميل بالعقل
والقلب الى محبة الخير . ومتى وجدت في مصر موسيقى عربية مؤلفة على قواعد
العلم ومنظمة تنظم الموسيقى الاوردية صار لمصر مزية أخرى في عيون السياح وكتبت
لها في سلم الحضارة والارتقاء درجة أعلى لان الموسيقى هي لغة التمدن والارتقاء .

إحصاء زراعى لمصر

أحصت الحكومة المصرية الاراضي الزراعية في السنة الزراعية التي ابدأوها
شهر ستمبر (ايلول) سنة ١٩١١ وانتهواؤها شهر أغسطس (آب) سنة ١٩١٢
فكان الشئوى

النوع	س	فدان	جنان	١٨	٢٨١١٩	الجملة
خشخاش	٠٩	٦٥٥	حص	١٠	١١٢١	
ترمس	٠٥	٩٩٠٠	حلبة	١١	٥٣٠٠٠	
قرطم	٢٢	١٠٧٩	كتان	٠٧	٧٣٢٤	

٢٦٣٩٢	٠٩	بصل	٦٣٣٤٤	٠٧	عذس
٣٢٧٩٧	٠٤	جلبان	١٥٨٢٧	٧٣	أصناف مختلفة
١٣٦٨٣٦٥	١٩	برسيم	٣٦٤٠٥٠	٢٢	شعير
١٢٨٢٩٣٥	١٩	قمح	٥١٧٣١٨	١٧	فول

الصيفي :

٢٢١٢٩	١٤	بقول	٢٣٥٩٥	٠٤	بطيخ وشمام
٢٦٩١	٠٢	سمسم		١٢	نيلة
١٢٥٧٣	١٤	فول سوداني	١٣٤٢	١٥	حناء
»		ذرة	٧٩٥٧٣٨	٠٦	قصب
٣٩٨٣٦	٠١	قطن عفيفي أصلي	٢٠٦٢٤	٠٨	أرز
٢٤٤٢٦٥	٠٩	« اشموني »	٩٦٨٥٦٦	١٤	قطن نو باري
٨١٩١٠	٠٢	« ميت عفيفي »	٣٦٣٥٤	١٣	« عباسي »
١٩٧٤٥٠	٢٠	« سكلاريدس »	٢٤٩٢٣١	١١	« يانوفيتش »

اجمال المزروع ٠٦ ٣٦٧١٢٨٨

تنزيل متزرع بالتكرار ٠٥ ٢٣٩٥٨٣٤

صافي الزمام ٠١ ٥٣٨٥٤٥٤

ضم بور قات ٢٣ ٢٣٩٣٢٤٨

أصل التكاليف ١٨ ٧٦٨٣٣٣٢

اللدنيات

مات مؤخرا في البلجيك رجل اسمه انطون الشافي أو الكريم وكان يعمل
النصال فلم يكتب له ان تعلم ما يخرج منه عن الامية وقضى بعض حياته وهو يدعي
شفاء المرضى وكل مقعد اقامه على رجله ومن أعمر رد اليه بصره وكان يدعي ان
الايمان هو العامل الوحيد في شفاء قاصديه للاستشفاء على يديه ممن يغشون منزله
بالمئات كل يوم حتى ضاقت صدور الاطباء الرسميين منه لانه كاد يقطع ارزاقهم

فأقاموا عليه دعوى فحكمت المحكمة ببرائته لأنه لم يكن يتقاضى أجره عن عمله وعند ذلك أسس له مذهباً سماه الانطوني نسبة إليه فكثرت أشياعه وأي كثرة في اقطار العالم . وقد تبرع أحد عشاقه بمئة ألف فرنك لبنى له في جنيس من بلاد بلجيكا معبد وقدم محضر فيه ١٣٠ ألف توقيع يطلب فيه للحكومة البلجيكية ان تعترف بالمذهب الانطوني بانه من الاديان الرسمية وتأسست شعب لمذهبه في بعض مدن فرنسا . قالت المجلة التي تنقل عنها بعد ان أوردت أحاديث لبعض من أولعوا بهذا الرّيبيل ان دعوى شفاء الاسقام كانت مألوقة في كل عصر عرفها الهند ويونان ورومية بل الغاليون أجداد الفرنسيين ولطالما ملأوا الحواضر والقرى وهم متوفرون على ممارسة صناعتهم التي كانت تعد من توابيع السحر تحرمها الكنيسة أو تتسامح فيها أو تقتل أهلها الا ان هذا الاضطهاد لم يفتزع عزائمهم وعادوا في كل قرن يحيون من رمادهم فالظاهر ان عنصرهم لا يفتنى ولوقتي الدهر يقاومون بعقولهم ارتفاع العلم ونشوء الاخلاق واتساع الافكار بالبحث والنظر وكما فيهم من جلبهم الى - حتى في هذا العصر وسألوه أسئلة وغمروهم بنواهم والاغرب من ذلك ان في باريز بحسب احصاء دائرة الشرطة زهاء عشرة آلاف عراف وعرافة انتشروا في اشرف احياء الاشراف منها وأكثرها سكاناً يمارسون صناعتهم بآمن ويمشون من هذه الاباطيل تحت سمع حكومة الجمهورية مؤلفة العقل ونظر العلماء الذين كشفوا كل غامض أو كادوا

المصافحة والصحة

قالت إحدى المجلات الانجليزية ان المصافحة تكفي للدلالة على صحة المتصافحين فهزة الكف اذا كانت ثابتة حرة من رجل مخلص حسن الصحة يكون فيها دائماً قليل من القسوة ولكن هذه القسوة اذا تجاوزت حد اللياقة في اللبس والادب تدل على ضعف موقت في الارادة وتشعر باضطراب من يهز ككفك وان اليد التي تمتد رخوة بدون ضغط تدل على ضعف في الجسم والفكر ولو موقت واذا صافحك مصافح بسرعة وعصبية فتستدل من ذلك على مزاج حاد سريع الانفعال.

واليد التي لا حركة فيها الكسلانة تدل على ضعف صاحبها والحي ليست أكثر دلالة من اليد على مزاج صاحبها فأقل لمس المصاب بها يكفي في تشخيص مرضه .

ازالة البقع

إذا سقطت الدهون والشحوم على خشب غرفة الطعام فازالة بقعها سهل للغاية على شرط ان تتداركها في الحال وهي طرية وذلك بان تضع على البقعة روح التر بنتين وتتركه عليها ساعتين ثم تمسحه بدون فرك وتلقي على البقع طبقة صغيرة من السعوط وتمر حديدة محماة فوقها فالسعوط يأكل الدهن والشحم كما يأكل كل التر بنتين والبنزين والسيرنو بقع الثياب

أصل الجعة

قالت مجلة التواريخ السياسية والادبية : ليس من السهل ان نبين أصل البيرا أو الجعة التي تصرف منها اليوم كميات وافرة وغاية ما علم ان البشر حاولوا في ادوار مختلفة ان يتبدوا بغير مياه العيون الصافية من الاشربة فكان لهم من اللبن وعصير الفاكهة والعسل والحب المسحوق مادة يعملون منها أشربة مخمرة ومنهم جاء شراب القوميس (ابن افرس) والخمر وخمر التفاح (السيدر) والأنجاص والجعة وشراب العرعر اعتدى البشر الى صنعها كلها بعقولهم فنقلها الخلف عن السلف وقد بحث الباحثون المحققون في انكثرا والمانيا والنمسا وهي البلاد التي يبلغ سكانها في تعاطي الجعة عن زمان ظهورها وكتبت المجلدات الضخمة في قدم الجعة ولم يستطع أولئك الباحثون ان يصلوا الى أصلها وغاية ما عرف ان ديودور الصقلي وهيرودس المؤرخ أثبتا ان المصريين عرفوا الجعة قبل المسيح بألفي سنة والغالب ان الملك أوزيريس كان رأس صناع الجعة وبائعها وقد دلت أوراق البردي التي عثر عليها ان مدينة بلوزة على شاطئ النيل اشتهرت بمعاملا لصنع الجعة وقد يرد على هذا الرأي أن صنع الجعة انتقل من الهند كما انتقلت مبادئ سائر الحضارات